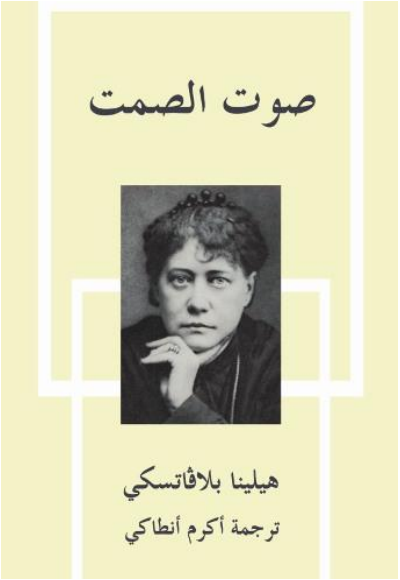


صوت الصمت

عنوان الكتاب: صوت الصمت
تأليف: هيلينا پ. بلاڤاتسكي
ترجمة: أكرم أنطاكي
إخراج وتصميم الغلاف: دارين أحمد

© جميع الحقوق محفوظة للدار
الطبعة الأولى 2011

معابر للنشر والتوزيع
سوريا، دمشق
ص ب: 5866
هاتف: 3312257 - 11- 00963
بريد إلكتروني: maaber@scs-net.org

صوت الصمت

هيلينا پ. بلاڤاتسكي

ترجمة: أكرم أنطاكي

مقتطفات مختارة من كتاب الحكم الذهبية ترجمتها وعلَّقت عليها هيلينا

بيتروڤنا بلاڤاتسكي من أجل الاستعمال اليومي للمريدين (اللانو)

مهداة إلى العدد الأصغر

مقدمة

هي صفحات مستقاة من كتاب الحكم الذهبية، وهو أحد الكتب التي يضعونها في الشرق بين أيدي طلاب الصوفية، وهو كتاب تعتبر معرفته إلزامية في المدرسة التي يقبل فيها عدد من الثيوصوفيين بتعاليمه. ولأني كنت أعرف، عن ظهر قلب، العديد من هذه الحكم فقد كان من السهل بالنسبة لي أن أترجمها.

لأنه واقع معروف في الهند أن تختلف طرائق التطور النفسي حسب المعلِّمين (بمعنى الغورو أو الأساتذة)، وهذا ليس فقط لأنهم ينتمون إلى مدارس فلسفية مختلفة – عدد هذه المدارس ست – وإنما أيضاً، لأن لكل غورو (أو معلم)، منهجه الخاص الذي يحافظ عادة، وبشكل كبير، على سرِّيته. أمَّا فيما وراء الهيمالايا، فلا يختلف منهج المدارس الباطنية، إلا في حال كان المعلِّم مجرد لاما[1] بسيط لا يعرف أكثر من أولئك الذين يعلمهم.

والعمل الذي أعتمده من أجل ترجمتي هو جزءٌ من تلك المجموعة التي أُخذت منها "سُوَر دزِيَن" Stanzas of Dzyan، التي تشكل أساس العقيدة السرِّية. فكتاب الحكم الذهبية يدَّعي الأصل نفسه الذي يدَّعيه المؤلف الصوفي الكبير المعروف بالبارامارتا Paramârtha، والذي كما تقول أسطورة الناجاردجونا Nagardjuna، أعطي للآرهات Arhat الكبير من قبل الناجات Nâgas أو الأفاعي (اللقب القديم للمطلعين). مشيرين إلى أن هذه الأقوال المأثورة وهذه الأفكار، أياً كانت أصالتها ونبلها، موجودة بأشكال مختلفة في

[1] – كاهن بوذي.

المؤلفات السنسكريتية؛ حيث نجدها، على سبيل المثال، في الجنانيشواري Jnâneshwari، هذه الرسالة الصوفية الرائعة التي، من خلال تلاوينها البرَّاقة، يصف فيها كريشنا لأرجونا حال يوغي كامل الإستنارة؛ كما نجدها أيضاً في بعض الأوبانيشاد. وهذا طبيعي جداً، لأن معظم الآرهاتات الكبار، الذين هم التلاميذ الأوائل للغوتاما بوذا، كانوا هنوداً وآريين، ولم يكونوا من المغول. أمَّا الأعمال التي تركها آيانساغا وحده فكثيرة جداً.

والنسخ الأصلية من الحكم محفورة على صفائح رقيقة ومستطيلة الشكل، أمَّا ما نسخ منها فغالباً ما يحفظ على أسطوانات أو صفائح توضع على هياكل المعابد التي ترتبط بها المراكز المسماة بـ"التأملية" أو الماهايانا Mahâyâna (يوغاتشاريا Yogatchârya)، وقد كتبت بطرق مختلفة، غالباً باللغة التيبتية، وخاصةً على شكل كتابة تصويرية. ونشير إلى أنه من الممكن، بالإضافة إلى اللغة الكهنوتية (السنزار) التي لها أبجديتها الخاصة، التعبير بعدة طرق كتابية مشفَّرة تتخذ الأحرف فيها أشكالاً أقرب إلى التصويرية منها إلى المقطعية. كما توجد أيضاً طرق أخرى (تدعى لوغ بالتيبتية)، ويتم فيها استخدام الأرقام والألوان، يتوافق كلٌّ منها مع حرف من أحرف الأبجدية التيبتية (المؤلفة من ثلاثين حرفاً بسيطاً و74 حرفاً مركباً) والتي تشكل بمجموعها أبجديةً مشفَّرة. كما أن هناك، عند استخدام الإشارات التصويرية، طريقة محددة لقراءة النص؛ وهي في هذه الحال تتألف من الرموز والإشارات المستخدمة في علم التنجيم – بمعنى الحيوانات الاثني عشرة الممثلة للأبراج والألوان البدئية السبعة، تلك التي لكل منها نسق ثلاثي يتدرج من الأفتح إلى البدئي فالأغمق، وهذه تُستَعمل في الأحرف الثلاثة والثلاثين للأبجدية البسيطة، في الكلمات كما في الجمل. فوفق هذه الطريقة،

تشكل الحيوانات الإثنا عشرة، المكررة خمس مرات والمتزاوجة مع العناصر الخمسة والألوان السبعة، أبجديةً كاملةً تتألف من ستين حرفاً مقدساً واثنتي عشر إشارة. وحيث تدلُّ إشارةٌ موضوعة في بداية النص القارىء إلى ما إذا كان يجب عليه التهجئة وفق الطريقة الهندوسية، حيث كل كلمة مجرد تكييف سنسكريتي، أو وفق المبدأ الصيني المعتمد لقراءة الإشارات التصويرية. وتبقى الطريقة الأسهل هي تلك التي تسمح للقارىء بعدم استخدام أية لغة، أو باستعمال اللغة التي يشاء، لأن الإشارات والرموز، كالأرقام أو الأحرف العربية، عالمية بالنسبة لجميع الصوفيين المطلعين ومريديهم. وهذه الخاصية نفسها تمتاز بها إحدى طرائق الكتابة الصينية التي يمكن قراءتها بالسهولة نفسها. بمعنى أنه يمكن لياباني أن يقرأها بلغته بالبساطة نفسها التي يقرأها فيها صيني بلغته.

يتضمن كتاب الحكم الذهبية – الذي تعود بعض نصوصه إلى المرحلة ما قبل البوذية، وبعضها الآخر إلى مرحلة تلتها – 90 بحثاً متميزاً. حفظ منها قبل بضع سنين، وعن ظهر قلب، 39 نصاً. لذلك، ولكي يكون من السهل ترجمة البقية الباقية من هذه النصوص، فإن عليَّ الرجوع إلى ملاحظات مبعثرة بين عدد كبير من الأوراق والمذكرات التي جمعتها خلال السنوات العشرين الأخيرة ولم يُتَح لي ترتيبها بعد. وأيضاً، فإنه من غير الممكن ترجمتها جميعها، ولا تقديمها إلى عالم ما زال مفرطاً في أنانيته ومتمسكاً بالأشياء الحسية، الأمر الذي يجعله غير مهيأ لأن يتقبل بروح طيبة قيماً بهذا السمو. لأن من لم يتابع، بجدٍّ، تَعَرُّفَه على ذاته لن يعير أذناً صاغية لنصائح من هذا النوع.

ونسجل، رغم هذا، أن مثل هذه القيم تملأ الكثير من كتب الأدب الشرقي، وخاصةً منها الأوبانيشاد. "**اقتل كل رغبةٍ في الحياة**" هذا ما قاله كريشنا لأرجونا. لأن هذه الرغبة كامنة فقط في الجسد الذي هو عربة الذات المجسدة، وليس الذات "**الخالدة التي لا تفنى، تلك التي لا تَقتُل ولا تُقتَل**" (أوبانيشاد كاتا). "**اقتل الحاسَّة**" هذا ما بشَّرت به السوتا نيباتا، و"**انظر بشكل متساوٍ إلى الرغبة والعذاب، إلى الربح والخسارة، إلى النصر والهزيمة**". وأيضاً: "**ابحث عن الملجأ عند الأزلي فقط**" (المصدر نفسه). "**حطِّم الإحساس بالتفرقة**". هذا ما كان يردده كريشنا بأشكال مختلفة.

لأن العقلي (الماناس) الذي يتبع الحواس الشاردة، يجعل النفس حائرة كالسفينة التي تتقاذفها الرياح[2].

ونحن نعتقد أننا أحسنّا صنعاً حين قمنا بخيار ذكي لنصوص نعتقد أنها الأكثر ملائمةً لبعض الروحانيين الحقيقيين في الجمعية الثيوصوفية، نصوص نعتقد أنها الأكثر استجابةً لما يحتاجون إليه. فهؤلاء فقط هم من بوسعهم تقدير كلمات كريشنا–المسيح، أو *"الذات العليا"*.

لا ينتحب الحكماء البتة من أجل الأحياء ولا من أجل الأموات. لأني لم أكن غير موجود يوماً، ولا أنتم كذلك، ولا أولئك الذين يشرِّعون للبشر، ولا أحد منا سيكف عن الوجود في المستقبل[3].

---

[2] – الباجافات جيتا، 2، 70.

[3] – الباجافات جيتا، 2، 27.

في هذه الترجمة حاولت ما في وسعي الاحتفاظ بالجمالية الشعرية للغة، وبالأسلوب المصور الذي يميز النص الأصلي. وحده القارىء يستطيع أن يحكم إلى أي حدٍّ نجحت في جهودي.

هـ. پ. ب.

الفصل الأول

الفصل الأول

هذه التعليمات موجهة لمن يجهل مخاطر الإيدهي[4] Iddhi السفلي. فمن أراد سماع وفهم صوت النادا[5] Nada، **الصوت الصامت**، عليه أن يتعلَّم طبيعة الدهارانا[6] Dhârâna. لأن على التلميذ، حين يصبح غير مبالٍ بالأشياء الحسِّية، أن يبحث عن راجا Rajah الحواس، ذاك الذي يولِّد الفكر، ويوقظ الوهم.

ولأن الذهني هو المدمِّر الأكبر للواقع، فإن على المريد أن يدمِّر المدمِّر. فحين يظهر له شكله غير الواقعي، كما تبدو لنا الأشياء التي نراها في الحلم بعد أن نستيقظ، وحين يكفَّ عن سماع المتنوع، عندئذٍ يصبح بوسعه تلمُّس **الأوحد**، هذا الصوت الداخلي الذي يقتل ذاك الخارجي. عندئذٍ، وعندئذٍ فقط، سيترك منطقة الآسات Asat، أي الخطأ، ويدخل منطقة السات Sat، أي الحقيقة.

---

[4] – الكلمة القديمة إيدهي هي المرادف السنسكريتي لكلمة سيديس، التي تعني القدرات فوق الطبيعية للإنسان. وهناك نوعان من السيديس: مجموعة تضم الطاقات النفسية والعقلية الدنيا، بمعنى الفظة، وأخرى تتطلب أقصى حدٍّ من تدريب القدرات الروحية. لأنه وكما قال كريشنا في *الشريماد بغاڤات*: "**من انخرط في تحقيق اليوغا، من أخضع حواسه وركَّز نفسه فيَّ، هو أحد اليوغيين الذين يستعد لخدمته كل السيديس.**"

[5] – ربما يجب أن نقرأ الصوت الصامت أو صوت الصمت بأنه صوت النغم الروحي، لأن كلمة نادا هي المرادف السنسكريتي لعبارة سن– زار.

[6] – الدهارانا هو التركيز المكثَّف والكامل للذهن على أي غرض ذهني داخلي، والمترافق مع عزلة داخلية كاملة عن كل ما له علاقة بالعالم الخارجي، أي بعالم الإحساس.

لكن قبل أن يصبح بوسع النفس أن ترى، يجب التوصل إلى تناغم داخلي يجعل العينين، اللتين من لحم، عمياوين فيما يتعلق بكل الأوهام. لأنه قبل أن يصبح بوسع النفس أن تسمع، يجب أن تصبح الصورة (الإنسان) صماء أمام الضجيج والهمسات، أمام صراخ وزئير الفيلة كما أمام الطنين الفضي والرنان لليراعة الذهبية. لأنه قبل أن يصبح بوسع النفس أن تفهم وتتذكر، عليها التوحد مع المتحدث الصامت كما تتحد روح صانع الفخَّار مع الشكل الذي يصنعه. عندئذٍ سيصبح بوسع النفس أن تسمع، وأن تتذكر. وعندئذٍ، وللأذن الداخلية، سيتحدث

صوت الصمت

فيقول:

إن ابتسمت نفسك المستحمة في شمس الحياة؛ وغنَّت وسط ظلمات الجسد والمادة؛ إن بكت نفسك في قلب قصر أوهامها، وحاولت التخلُّص من الخيط الفضي الذي يربطها بالمعلِّم[7]؛ فاعلم – أيها المريد – أنَّ نفسك أرضية.

حين يعير برعم نفسك[8] أذنه لضجيج العالم، ويستجيب للصوت الزائر للوهم الكبير[9]؛ عندما ترتعب نفسك من رؤية الدموع الحارة للألم، وتلتجئ،

---

[7] – "المعلِّم الأكبر" هو التعبير الذي يستخدمه النوس أو الشيلاس (أي المريدين) للإشارة إلى "الذات العليا". وهي نفسها عبارة أفالوكيشيفارا، ونفسها آدي– بودا التي يستخدمها السرانيون البوذيون، وآتمان (أي الذات العليا) التي يستخدمها البراهمانيون، وتعبير خريستوس الذي كان يستعمله الغنوصيون القدامى.

[8] – تستعمل كلمة النفس هنا للدلالة إلى Ego الإنسان أو ماناس، تلك التي ندعوها وفق تقسيماتنا السباعية "النفس البشرية"، لتمييزها عن النفوس الروحانية والحيوانية.

وقد أصمَّتها صيحات الأسى، كسلحفاة خجولة إلى قوقعة الأنانية؛ فاعلم – أيها المريد – أنَّ نفسك ليست جديرة بإلهها الصامت.

عندما، وقد أصبحْتَ قوياً، تتسلل نفسك خارج ملجئها الأمين، وتخلع الغلاف الذي يحميها، وتنطلق ناشرة خيطها الفضي؛ حين، وقد رأت صورتها منعكسة على أمواج الفضاء، تُهَمْهِمُ قائلةً: "هذا أنا"؛ اعترف – أيها المريد – بأنَّ نفسك قد وقعت في شباك الخطأ[10].

هذه الأرض هي قاعة الألم أيها المريد: ههنا، وعلى طول درب التجارب القاسية، مزروعة الفخاخ التي تسعى لربطك بوهم يدعى "الهرطقة الكبرى"[11].

وهذه الأرض، أيها المريد الجاهل، ما هي إلا المدخل الوحيد الموصل إلى الغسق الذي يسبق وادي النور الحقيقي، النور الذي لا يمكن لأحد وُلُوجُه، والمشتعل دونما فتيل أو وقود.

قيل في القانون الكبير: "**قبل أن تصبح عارفاً للذات الكلِّية**[12]**، عليك أن تعرف نفسك**". ولمعرفة تلك الذات عليك أن تترك الذات للاذات، والكائن للاكائن؛ عندئذٍ يكون بوسعك أن تستريح بين جناحي الطائر الكبير. فناعمة

---

[9] – ماها مايا أو "الوهم الكبير" هي العالم الموضوعي.

[10] – سقاياديتهي أو "خطأ" الشخصية.

[11] – أتافادا، أو هرطقة الإيمان بالروح، أو لنقل انفصال هذه الأخيرة، أي الذات، عن الذات الكونية التي لا تتجزأ.

[12] – التاتواجناني هو ذلك الذي يعرف ويتلمس قوانين الطبيعة والإنسان. والأتماجواني هو عارف الآتمان، أو الذات الكونية الوحيدة.

هي الاستراحة بين جناحي من لا يموت، والذي هو الآوم[13] Aum خلال الأزمنة الأزلية[14].

فاركب طائر الحياة إن شئت أن تعلم[15]. ودَعْ الحياة إن أردت أن تحيا[16].

هي ثلاث قاعات ينتهي عندها عناؤك أيها المسَافر المتعب. ثلاث قاعات توصلك عبر ثلاث حالات[17] إلى تلك الرابعة[18] يا غازي المارا Mâra، والمنطلق منها نحو العوالم السبعة[19]، عوالم الراحة الأزلية.

فاستمع إن أردت معرفة أسمائها وتذكَّر.

---

[13] – الكاتا هامسا هي "العصفور" أو البجعة. لأنه قيل في النادا–هندو أوبانيشاد (الريج فيدا) إن: "**حرف الألف هو جناحه الأيمن، وحرف الواو جناحه الأيسر، وحرف الميم ذيله، والأدراماترا (نصف المتر) هي رأسه.**"

[14] – بالنسبة للشرقيين تعني الأزلية شيئاً مختلفاً عمَّا نفهمه نحن، فهي تعني الأعوام المئة أو عمر البراهما، ومدة الكالبا أو الحقبة هي 4.320.000.000 سنة.

[15] – حسب النادا الهندي الذي سبق وذكرناه، فإن اليوغي الذي يرتقي إلى الهامسا (بمعنى يتأمل الآوم) لا تصيبه التأثيرات الكارمية، ولا مليارات الخطايا.

[16] – بمعنى دع حياة الشخصية المادية إن أردت أن تعيش حياةً روحية.

[17] – هي الحالات الثلاث للوعي، وهي: جاغرات أو البارحة، سوابنا أو الحلم، وسوسهوبتي أو النوم العميق. وهذه الاشتراطات اليوغية الثلاثة تقود إلى الحالة الرابعة.

[18] – تدعى الحالة الرابعة توريا، تلك التي تتجاوز حالة اللاحلم: الحالة العليا، حالة الوعي الروحي الأعلى.

[19] – يضع بعض المتصوفة السنسكريتيين سبعة مستويات للوجود هي: اللوكاس السبعة أو العوالم الروحية في قلب جسد كآلا–هامسان، إنها البجعة التي خارج الزمان والمكان، تتحول إلى بجعة داخل الزمن، عندما يتحول البراهما إلى براهما حيادي.

اسم القاعة الأولى هو آفيديا A vidya أو الجهل. وهي القاعة التي شهدت ولادتك تلك، حيث تحيا وحيث تموت[20].

واسم القاعة الثانية هو التعلُّم، هذا العالم الذي ستعرف نفسك فيه أزهار الحياة، الأزهار التي يختبئ تحت كلٍّ منها ثعبان متكوِّر[21].

واسم القاعة الثالثة هو الحكمة؛ تلك التي تمتد من ورائها المياه التي لا ضفاف لها للأكشارا Akshara، ينبوع العلم الكلِّي الذي لا ينضب[22].

فإن أردت عبور القاعة الأولى بسلام، لا تسمح بأن تتخذ نفسك من نيران الشهوة الحارقة شمساً. وإن أردت عبور الثانية بسلام، لا تتوقف كي تستنشق أريج الأزهار المخدِّرة. وإن أردت التحرُّر من سلاسل الكارما لا تبحث عن معلِّمك في تلك المناطق المايافية (الوهمية). فالحكماء لا يتلكأون في بساتين الحواس، ولا يأبهون لأصوات الوهم الرخيمة.

ابحث عمن سيعطيك الحياة[23] في قاعة الحكمة، تلك التي تمتد إلى الما– وراء، والتي لا تعرف الظلال، وحيث يشعُّ نور الحق بمجد عظيم.

---

[20] – فقط العالم الظاهري للأحاسيس والوعي الأرضيين.

[21] – هي المنطقة الكوكبية، العالم النفسي للأحاسيس فوق الحسِّية والرؤى الخادعة، عالم الوسطاء الروحيين. وهو "الثعبان الكوكبي" الكبير الذي تحدث عنه إليفاس ليفي. حيث لم تقطف وردة من تلك المناطق وتجلب إلى الأرض إلا وكان ملتفاً حول جذعها ثعبان متكوِّر. إنه عالم الوهم الكبير.

[22] – هي منطقة الوعي الروحي الكامل، تلك التي يتجاوز من يصلها كل المخاطر.

[23] – يدعى المطلع الذي يقود المريد، عن طريق المعرفة التي يمتلكها، إلى ميلاده الروحي أو ميلاده الثاني بالأب أو المعلم أو الغورو.

ما لا يخلق موجود في داخلك أيها المريد، كما أنه موجود أيضاً في هذه القاعة. فإن شئت الوصول إلى الاثنين ودمجهما معاً، تخَلَّ عن ثياب وهمك القاتمة. وأخمِد صوت الجسد، ولا تدع أية صورة من صور الحواس تتداخل بين نورها وبين نورك. وبمجرد أن تتعرَّف إلى آجنانك[24] Ajnana الخاصة، اهرب من قاعة التعلُّم، لأن هذه القاعة خطيرة بجمالها الغدَّار، وفائدتها الوحيدة هي أنها تمتحنك. فاحذر أيها اللانو، من أن تفقد روحك، المتلكئة والمبهورة بنورها المخيب، النور الذي يشعُّ من جوهرة الساحر الكبير (مارا)[25]، لأنه نور يُغوي الحواس، ويُعمي العقل، ويترك عديم التبصُّر وراءه مدمَّراً ومهجوراً.

الأرقية[26] التي يجذبها النور الساطع لفانوسك الليلي محكوم عليها بالموت حرقاً في زيتها اللزج. كذلك ستعود النفس، عديمة التبصر التي أضاعت فرصة الإمساك جيداً بشيطان الوهم الساخر، إلى الأرض مستعبدةً لمارا.

انظر إلى جحافل النفوس، وراقب كيف تتجول على غير هدى فوق البحر العاصف للحياة الإنسانية. وكيف، تعبةً ودامية ومكسورة الجناح، تتساقط الواحدة تلو الأخرى في قلب الأمواج المتلاطمة. انظر كيف تتقاذفها الرياح

---

[24] – الآجنانا هي الجهالة أو اللاحكمة، بمعنى أنها نقيض المعرفة أو الجنانا.

[25] – في المناطق الظاهرية *المارا* هي شيطان، أو الصورة؛ لكنها في الفلسفة الباطنية تعني تجسُّد الإغراء عن طريق رذائل البشر، وهي إن ترجمت حرفياً تعني "ما يقتل" النفس.
وتمثَّل كملك (للماراس) يلبس تاجاً تزينه جوهرة يعمي إشعاعها أولئك الذين ينظرون إليها: هذا الإشعاع الذي يفسَّر بأنه الإغراء الذي تؤثر به الرذيلة على بعض الطبائع.

[26] – نوع من الفراشات من رتبة حرشفيات الأجنحة تسطو أساريعها على النباتات المختلفة والأشجار وتعرِّيها من أوراقها.

الغاضبة وتلاحقها الأعاصير فتنساق مع الدوامات وتختفي عند أول إعصار.

بعدئذٍ، وقد عبرت قاعة الحكمة أيها المريد، وأردت الوصول إلى وادي الغبطة، أغلِق جيداً حواسك أمام الهرطقة الكبيرة والقاسية للفراق الذي سيفصلك عن الباقين. ولا تدع مبدأك الخالد الغارق في محيط المايا ينفصل عن الأم الكونية (الروح)، بل اترك السلطة المشتعلة تنجذب نحو الغرفة الباطنية، غرفة القلب[27]، حيث تسكن أم العالم[28].

عندئذٍ، من القلب، سترتفع هذه السلطة إلى المنطقة السادسة، المنطقة الوسيطة التي بين عينيك، حيث ستصبح نفحة الروح الواحدة، ذلك الصوت الذي يطغى على جميع الأصوات، صوت معلِّمك.

عندئذٍ فقط سيكون بوسعك أن تغدو متنزِّهاً قادماً من السماء[29]، ذلك الذي يمتطي الريح، ويمشي فوق الأمواج دون أن تلامس قدماه المياه.

---

[27] – تدعى غرفة القلب الباطنية بالسنسكريتية براهما–بورا. والسلطة المشتعلة كونداليني.

[28] – "*السلطة*" و"*أم العالم*" هي أسماء تطلق على الكونداليني، التي هي إحدى الطاقات السرَّانية لليوغي. إنه البوذي حين نتعامل معه كمبدأ فعَّال وليس كمبدأ سلبي (فهو، بشكل عام، سلبي حين لا نرى فيه سوى المركبة أو الإطار المغلف للروح الكلية، أي الآتما). وهي قوة كهر–روحية، قوة خلاقة بوسعها حين تستيقظ أن تقتل وأن تحيي.

[29] – الكيشارا هو من يتنزه أو يذهب إلى السماء. وكما تشرح الآدهيايا السادسة لملك الرسائل الروحانية الجنانيشواري: يصبح جسم اليوغي شبيهاً بالريح وكأنه "**غيمة نبتت لها أعضاء**"، بعد هذا "**يصبح بوسع اليوغي أن يرى الأشياء التي تتجاوز البحار والنجوم: يصبح بوسعه أن يسمع ويفهم لغة الديفا، يعرف ما يجري في نفس النملة.**"

لكن قبل أن تطأ قدمك الدرجة العليا لسلَّم النغمات الروحية، عليك أن تستمع، بطرقٍ سبعةٍ، إلى صوت إلهك الداخلي[30]. حيث الصوت الأول يشبه الصوت العذب لعندليبٍ يشدو بأغنية وداع لرفيقته. وحيث الثاني كصوت الصنج الفضي للدهياني التي توقظ النجوم المتلألئة. أمَّا التالي فيشبه الأنين الرخيم لعفريت محبوسٍ في قوقعة. تتبعه أغنية الڤينا[31]. بينما يصفِّر الخامس في أذنك كنغم ناي من القصب، ثم يتحول إلى قصف بوق. أمَّا الأخير فيرتج كالهدير الأصم لغيم العاصفة. ويبتلع السابع كلَّ الأنغام التي سبقت؛ فتموت كل الأصوات ولا نعود نسمعها.

لأنه، عندما تقتل الستة[32] وتلقى عند أقدام المعلِّم، يغوص المريد في الواحد[33]، ويصبح هو الواحد، ويحيا.

قبل أن تسلك هذا الدرب عليك أن تدمر جسدك القمري[34]، وتنظف جسمك العقلي[35]، وتطهر قلبك. لأنه لا يمكن للمياه النقية، الصافية والبلُّورية، للحياة الأزلية أن تختلط مع السيول الجارفة والموحلة لعواصف

---

[30] – أي الذات العليا.

[31] – الفينا أداة موسيقية وترية هندية شبيهة بالعود.

[32] – المبادىء الستة: بمعنى أن تدمِّر الشخصية الدنيا فتغوص وتضيع في قلب المبدأ السابع أو الروح.

[33] – أي يصبح المريد واحداً مع البراهما – الآتمان.

[34] – هو الشكل النجمي الناتج عن المبدأ الكارمي، الكارما–روپا أو جسد الشهوات.

[35] – هو المآناسا–روپا، حيث يعود الأول للذات النجمية أو الخاصة، والثاني للفردية أو الذات (أي الإيغو) المتقمصة، أو الماناس السفلي، والتي يجب على مستوانا شلُّ وعيها لذاتها.

الرياح الموسمية. ولأنَّ قطرة الندى السماوية المتلألئة في قلب اللوتس مع أولى أشعة الصباح، تتحول حين تقع على الأرض إلى قطعة صلصال: كاللؤلؤة التي تحولت إلى طين.

حارب أفكارك الملوثة قبل أن تسيطر عليك، وعاملها كما تعاملك؛ لأنك إن راعيتها، وتركتها تتجذر وتنمو، فإنها ستطرحك وتقتلك. لذلك، احذر أيها المريد، ولا تدع حتى ظلها يقاربك؛ لأن هذا الشيء الظلامي، حين يكبر ويقوى، سيمتصُّ كيانك قبل أن تتنبه لظله الملوث.

لأنه قبل أن تجعل السلطة الروحية[36] منك إلهاً، أيها اللانو، عليك أن تتملك قدرة قتل شكلك القمري متى شئت ذلك.

لا يمكن لذات الروح وذات المادة أن تلتقيا أبداً. فعلى أحدهما أن يزول حيث لا مكان للاثنين معاً. وقبل أن يصبح بوسع روح نفسك أن تفهم، اِسحق برعم الشخصية، ودمِّر دودة الحواس بحيث لا يكون بوسعها الانبعاث من جديد. لأنه لن يكون بوسعك اجتياز الدرب قبل أن تصبح أنت ذلك الدرب بالذات[37].

---

[36] – الكونداليني هي ما تسمى به القدرة الحلزونية أو الحلقية، وذلك بسبب فعلها أو تطورها الحلزوني في جسم اليوغي الذي يطور هذه القدرة في نفسه. إنها قدرة كهربائية، نارية، سرَّانية أو فوهاتية، تلك القوة البدئية الكبيرة والكامنة تحت كل مادة عضوية وغير عضوية.

[37] – في كل المؤلفات السرَّانية يجري الحديث عن الدرب، الذي هو كما يعبِّر كريشنا في جنانيشواري: "**حين تلمح هذا الدرب، حين تتجه نحو ازهرار الشرق أو نحو الغرف الغربية، من دون حراك، يا حامل القوس، تكون الرحلة على هذا الطريق. على هذا الدرب وإلى أي مكان شئت أن تذهب، تصبح أنت ذاك المكان**". "**أنت هو الدرب**"، هذا ما

دع نفسك تصغي إلى كلِّ صرخة ألم، كزهرة اللوتس حين تعرِّي قلبها فيتشرَّب من شمس الصباح.

لا تدع الشمس الحارقة تجفف دمعة الألم قبل أن تحاول مسحها عن العينين المفجوعتين، لكن دع كل دمعة إنسانية تقع حارقة على قلبك وأبقِها ولا تمسحها قبل أن تزيل الألم الذي تسبب بها. فهذه الدموع، يا أيها الإنسان ذو القلب الرحيم، هي الجداول التي تسقي حقول الإحسان الخالد. فعلى هذه الأرض تنمو زهرة البوذا في منتصف الليل[38]، تلك التي إيجادها أصعب، وتأملها أندر، من زهرة شجرة الڤوغاي. فهي البذرة التي تحرر الانبعاث. تلك التي تعزل الآرهات عن الصراع والطمع، وتقوده، عبر حقول الكائن، نحو السلام والغبطة التي لا يعرفها إلا بلد الصمت واللاوجود.

اقتل الرغبة، لكن احذر، حين تقتلها، من أن تعود فتُبعث من بين الأموات من جديد.

اقتل حب الحياة. لكنك إن قتلت التانها[39]، لا تدع فعلك هذا يكون طمعاً بالحياة الأزلية، وإنما من أجل استبدال المتحول بالذي لا يتبدل.

لا تشتهِ شيئاً. ولا تنفعل ضد الكارما، ولا ضد قوانين الطبيعة التي لا تتغير. ناضل فقط ضد ما هو شخصي وعابر وفانٍ وسريع الزوال.

يقال للمعلِّم (الغورو) التابع، وعن طريقه للمريد بعيد المسارة. لأنه كما قال معلم آخر: "**أنا الدرب والطريق**".

[38] – إنها التابعة، أو "ازهرار الالبوديساتفا".

[39] – التانها هي إرادة الحياة والخوف من الموت وحب الحياة، إنها القوة أو الطاقة التي تسبب الانبعاثات المتكررة.

ساعد الطبيعة، واعمل معها: عندئذٍ ستنظر الطبيعة إليك كأحد أبنائها، وستمتثل لك. وستنفتح أمامك على مصراعيها بوابات غرفها السرِّية. ولناظريك ستقدم كنوزها العارية المختبئة في صدرها العذري الطاهر؛ تلك التي لم تلوثها يد المادة. لأنها لا تكشف عنها إلا لعين الروح التي لا تنغلق أبداً، العين التي لا حُجُب أمامها، ولا في كل الممالك. عندئذٍ سترشدك إلى الوسائل وإلى الطريق؛ إلى البوابة الأولى والثانية والثالثة وحتى السابعة. كما ستقودك إلى الهدف الذي يمتد من بعده، غارقةً في شمس الروح والأمجاد التي لم تعبِّر عن نفسها، ما لا يراه الجميع، وتراه عين الروح فقط.

هناك طريق واحدة توصل إلى الدرب، وفي نهايتها فقط بوسعنا سماع **صوت الصمت**. لأنَّ السلَّم الذي يتسلقه المريد مصنوع من درجاتٍ من الألم والحزن، ووحده صوت الفضيلة يستطيع إسكات صوتها. لذلك، بائس أنت أيها المريد إن تركت وراءك آفة واحدة، لأنَّ السلَّم سينهار عندئذٍ وستقع؛ لأنَّ قائمتيه ترتكزان إلى الوحل العميق لخطاياك وأخطائك، لأنه قبل أن تتمكن من عبور هذا الغور العميق من المادة عليك غسل قدميك بمياه الزهد. لذلك انتبه أن تلمس العتبة الأولى بقدم ما زالت ملوثة. فبائس من يتجرأ على تدنيس واحدة من عتباتها بقدميه الموحلتين. عندئذٍ ستجف الحمأة الملوثة واللزجة وتصبح قاسية وتكبِّل قدميه في المكان كعصفور عالق في صمغ الصياد، ما سيمنعه من متابعة المسير، وستتخذ أخطاؤه شكلاً يجرّه إلى الأسفل، وسيرتفع صوت خطاياه، كصوت ابن آوى حين يعلو وينتحب بعد غياب الشمس، وستتحول أفكاره جيشاً يجرّه إلى الأسر والعبودية.

لذلك اقتل رغباتك أيها اللانو، واجعلها عاجزة، قبل الشروع بالخطوة الأولى في هذه الرحلة المهيبة. اخنق خطاياك وأسكتها إلى الأبد قبل أن ترفع

قدماً واحدة وتشرع بالصعود. أسكِت أفكارك، وركِّز كل انتباهك على ذلك المعلِّم الذي لم تره بعد، وإنما تشعر به فحسب. اجعل حاسة واحدة تبتلع حواسك، إن شئت أن تنعم بالأمان تجاه العدو. لأنه عن طريق هذه الحاسة الوحيدة المختبئة في قلبك وعقلك بوسع الأعين الضعيفة لنفسك اكتشاف الدرب الصعب الذي سيقودك إلى المعلِّم.

طويل وممل يمتد الدرب أمامك أيها المريد، ومجرد فكرة للماضي الذي تركته وراءك سوف تسقطك من جديد، وسيكون عليك أن تعيد الكرة من جديد.

اقتل في نفسك كل ذكريات المشاعر الماضية، ولا تنظر إلى الخلف وإلا أضعت نفسك.

لا تعتقد أبداً أنَّ بوسعك تدمير الفسق عن طريق إشباعه: فهذه شناعة أوحت بها مارا. لأنَّ الرذيلة كالدودة التي تقتات من قلب الوردة، تنتشر وتقوى حين نغذيها. ويجب أن تعود الوردة ذلك البرعم الذي ولَّده الغصن الأم قبل أن ينخر الطفيلي قلبه ويمتص رحيقه. فالشجرة الذهبية تعطي براعمها المتلألئة قبل أن تُذبل العاصفة جذعها. وعلى المريد أن يستعيد حالة الطفولة التي أضاعها قبل أن تطرق النغمة مسامعه. فالنور المنبثق من المعلم الأوحد، النور الذهبي الروحي الأوحد، يلقي على المريد، ومنذ البداية، أشعته الساطعة التي تخترق الغيوم الكثيفة والقاتمة للمادة. وهذه الأشعة تنيره من جميع الجهات، كما تنير ومضات الشمس الأرض مخترقة أوراق الغابة الكثيفة. ولكن، أيها المريد، ما لم يصبح اللحم مستكيناً، ويصبح الرأس بارداً،

وتصبح الروح صلبة وصافية كالماس المشع، لن يدخل النور الغرفة[40]، ولن يدفىء نوره القلب، ولن تصل إلى الأذن، مهما كانت مصغية في المرحلة البدئية، تلك الأنغام الروحانية الآتية من الأعالي الآكاشية[41].

وإذا لم تسمع؛ فلن يكون بوسعك أن ترى.

وإذا لم ترَ، فلن يكون بوسعك أن تسمع. وأن تسمع وترى في الآن ذاته، هذه هي المرحلة الثانية.

وعندما يسمع المريد ويرى، عندما يتحسس ويتذوق، مغلق العينين والأذنين، مغلق الفم والمنخرين؛ عندما تختلط حواسه الأربع ويصبح بمقدورها الانتقال إلى الحاسة الخامسة التي هي اللمس الداخلي – عندها يكون قد انتقل إلى المرحلة الرابعة.

لأنك في المرحلة الخامسة، يا مدمِّر أفكارك، ستقتلها كلها مرة أخرى بحيث لن يعود بوسعها القيام مجدداً[42]. فحافظ على نفسك بمنأىً عن كل ما هو خارجي، وعن كل عرض خارجي. واجعل صورك الداخلية نائيةً خوفاً من أن تلقي ظلاً على روحك. لقد أصبحت الآن في الدهارانا، التي هي المرحلة السادسة[43].

---

[40] – راجع الهامش رقم 27.

[41] – هي الألحان الروحية التي يسمعها الناسك في بداية دورته التأملية، والتي يدعوها اليوغيون بالأناهاتاشابدا. حيث الأناهاتا هي التشاكرا الرابعة.

[42] – ما يعني أنه في المرحلة السادسة من التطور، الذي يدعى في المنظومة السرَّانية بالدهارنا، يجب القضاء على (أو شلّ) كل حسٍّ على هذا الصعيد، وذلك عبر الانتقال أو الغوص في المستوى السابع الذي هو المستوى الروحاني.

[43] – راجع الهامش رقم 6.

وحين تنتقل إلى المرحلة السابعة، يا سعيد الحظ، لن يعود بوسعك رؤية الثلاث المقدسة[44]، حيث تكون قد أصبحت أنت هذه الثلاث؛ أنت نفسك وذلك العقلي، كتوأمين متقابلين، والشمس هدفك المتوقد فوق الرأس[45]. فهذه الثلاث الكامنة في قلب المجد والغبطة التي لا تنحى قد فقدت أسماؤها في عالم المايا، وأصبحت نجمة واحدة. إنها النار التي تشتعل ولا تُستهلك. هذه هي نار الأوبادهي[46] المشتعلة.

وهذا هو، أيها اليوغي الناجح، ما يدعوه البشر دهيانا[47]، ذلك السلف الحقيقي للسامادهي[48]. فقد غرقت ذاتك في الذات، وأصبحت أنت نفسك غارقاً في تلك الذات التي انبثق منها نورك في البداية.

---

[44] – تمثل كل مرحلة من مراحل التطور في الراجا–يوغا بشكل هندسي. وهذه هي هنا المثلث المقدس الذي يسبق الدهارانا. والΔ هو علامة الشيلا العليا، بينما مثلث من نوع آخر هو إشارة الملقنين العلويين. إنه رمز "أنا" الذي يتحدث عنه البوذا ويستعمله كرمز متجسد للتاتهاغاتا عندما يتخلص من طرق البراجانا الثلاث. حيث وبمجرد تجاوز الدرجات السفلية الأولى، لن يعود بوسع المريد أن يرى الΔ، إنما الـ – الذي هو اختصار لـ – السباعي الكامل الذي لا يمكن إعطاء شكله الكامل ههنا، لأنه شبه مؤكد أن سوف يتسلط عليه الدجالون ويستعملوه لغايات مدنسة وغير نزيهة.

[45] – النجمة المتوقدة فوق الرأس هي "نجمة المساررة". وعلامة طبقة الشايفاس، أو أتباع طائفة شيفا، المعلم الأكبر لكل اليوغي، هي نقطة مستديرة سوداء، ترمز ربما إلى الشمس، في المرحلة الحالية، ورمز نجمة المساررة في علم الباطن، في الأيام الخوالي.

[46] – (الأوبادهي) هي قاعدة النار التي لا يمكن أبداً الوصول إليها، طالما بقي الناسك في هذه الحياة.

[47] – تعتبر الدهيانا المرحلة قبل الأخيرة التي نعيشها على هذه الأرض ما لم نتحول إلى ماهاتما كامل. في هذه الحالة، وكما سبق وشرحنا، يكون الراجايوغي واعٍ لنفسه ولفعل

أين أضحت فردانيتك أيها اللانو، أين أضحى اللانو بحد ذاته؟ إنها الشرارة التي ضاعت وسط النار كقطرة ماء وسط المحيط. ذلك الشعاع الموجود دائماً، والذي أصبح هو الكلُّ، وهو الشعاع الأزلي.

فالآن أيها اللانو، أصبحت الممثل والمشاهد معاً، أصبحت المشعَّ والشعاع معاً، الضوء في قلب الصوت، والصوت في قلب الضوء.

الآن وقد تعرفت إلى العوائق الخمسة، أيها المبارك، أصبحت ذلك الذي انتصر عليها فأصبح سيد العائق السادس، ومحرر الوسائط الأربعة للحقيقة[49]. أصبحت النور الذي يضيئها والنابع من ذاته، يا من كنت مريداً وصرت معلِّماً.

وعبر وسائط الحقيقة هذه: ألم تتعرف إلى كلية البؤس – هذه هي الحقيقة الأولى.

مبادئه العليا روحياً، ما يعني أنه لن تتبقى سوى خطوة ويكون قد أصبح في المستوى الذي يتجاوز السابع (أو الرابع وفق مدارس أخرى). وهذه تتضمن بعد ممارسة البراتيهارا – الذي هو تدريب أولي يساعد على السيطرة على العقل والأفكار – الدهارانا والدهيانا والسامادهي وتجمع هذه الثلاث تحت المسمى العام سامياما.

[48] – هي الحالة التي يفقد المتصوف فيها أي إحساس بالفردانية بما فيها فردانيته الخاصة. فيتحول إلى كلٍّ.

[49] – الوسائط الأربعة للحقيقة هي وفق البوذية الشمالية: الكو التي تعني العذاب والبؤس، والتو التي تجمع كل المغريات، والمو الذي يعني دمارها، والتاو الذي هو الدرب. أما العوائق الخمس فهي معرفة البؤس وحقيقة الضعف البشري والامتناعات الصعبة والضرورة المطلقة للابتعاد عن كل روابط الشغف والرغبات، أما الأخير فهو "درب الخلاص".

ألم تنتصر على ملك الماراس في توو، عند بوابة التجمع – هذه هي الحقيقة الثانية[50].

ألم تدمر الخطيئة، عند البوابة الثالثة، وتمتلك الحقيقة الثالثة.

ألم تدخل الطاو، الذي هو درب المعرفة – تلك هي الحقيقة الرابعة[51].

استرح الآن في ظل الشجرة أيها البودهي، يا من أصبحت تجسِّد كمال المعرفة، وخذ علماً بذلك، يا سيد سامادهي، يا حالة الرؤية التي لا تخيب.

انظر! لقد تحولت إلى نور، وتحولت إلى صوت، وأصبحت سيد نفسك وإلهها. وأصبحت أنت موضوع بحثك: ذلك الصوت الوحيد الصادح في الأزلية، بلا تحول وبلا خطيئة، لقد أضحت الأصوات السبعة صوتاً واحداً هو: **صوت الصمت** – *أوم تات سات*.

---

[50] – عند بوابة التجمع يقف ملك الماراس، الماها مارا، محاولاً إعماء المريد بالنور المبهر لجوهرته.

[51] – وهذا هو الرابع من بين الدروب الخمسة التي تقود وتدفع كل الكائنات البشرية إلى حالات دائمة من الفرح والترح. وهذه الدروب ما هي إلا تفرعات للدرب الوحيد الذي يتبعه الكارما.

الفصل الثاني

الفصل الثاني

الدربان

والآن يا معلم الحُنوّ، أرشد إلى الطريق من تبقى من البشر، وألقِ نظرة على كلٍّ أولئك الذين يطرقون (الباب) طالبين القبول، منتظرين في قلب الجهالة والظلام فتح الباب واسعاً أمامهم.

صوت المرشحين:

ألن تكشف عن عقيدة القلب[52]، يا سيد شفقتك الذاتية؟ وهل سترفض قيادة خدَّامك على درب الخلاص؟

المعلم يتكلم:

هناك دربان؛ أمَّا (أشكال) الكمال فهي ثلاثة؛ وست هي الفضائل التي تحوِّل الجسد إلى شجرة للمعرفة[53].

---

[52] – تدعى مدرستا العقيدة البوذية، المدرسة الباطنية والمدرسة الظاهرية على التوالي، بعقيدتي القلب والعين. وكان البوذي دهراما في الصين يدعوهما، من هنا جاء الاسم إلى التيبت، بتسونغ مين (وهي المدرسة الباطنية) وكيام مين (المدرسة الظاهرية). وقد دعيت الأولى هكذا لأنها العقيدة التي نبعت من قلب الغوتاما بوذا، بينما كانت عقيدة العين نتاج رأسه وعقله. وأيضاً، تدعى عقيدة القلب بختم الحقيقة أو الختم الحقيقي، كرمز نجده تقريباً في رأس كل المؤلفات الباطنية.

[53] – شجرة المعرفة هي إحدى التسميات التي يطلقها أتباع البوذي دهارما (بمعنى دين الحكمة) على أولئك الذين بلغوا قمم المعارف السرانية – أي الأتباع. فنادراحونا، مؤسس مدرسة المادهياميكا، دعي بالشجرة التنين، حيث التنين هو رمز الحكمة والمعرفة. والشجرة تكرم لأنه تحت شجرة البودهي حصل البوذا على المعرفة واستنار، وألقى أولى مواعظه، ومات.

من ذا الذي سيقترب؟

من ذا الذي سيدخل أولاً؟

من ذا الذي سيتلقى، كواحد، عقيدة الدربين وحقيقة القلب السرية والموحى بها[54]؟ ذلك الدرب الذي يتجنب المعرفة التي تقدمها الكتب، ويبشر بالحكمة، ويكشف تاريخ الألم.

لكن يا للأسف، يا للأسف، ليس بوسعنا القول إن كل البشر الذين يعرفون الألايا[55] سيتحدون مع الروح الكبرى، أو إنهم حين يمتلكوها لن يعرفوا استخدامها.

انظر كيف، شبيهةً بالقمر الذي تعكسه الأمواج الهادئة، تنعكس الألايا من قبل الصغير ومن قبل الكبير. هي تنظر إلى نفسها من خلال أصغر الذرات، لكنها لا تستطيع، مع الأسف، الوصول إلى قلوب كل البشر. مؤسف أن نقول إن القليل فقط سيستفيد من هذه النعمة، هذه النعمة التي لا تقدر بثمن والتي هي معرفة الحقيقة. الحس الصحيح للكائنات، ومعرفة من ليس موجوداً.

التلميذ يسأل:

أيها المعلم، ماذا عليَّ أن أفعل للوصول إلى الحكمة؟

أيها الحكيم، ماذا عليَّ أن أفعل لأبلغ الكمال؟

---

[54] – القلب السري هو العقيدة الباطنية.

[55] – الألايا هي النفس الكونية أو الآتمان، تلك التي يملك كل إنسان شعاعاً منها، شعاعاً يستطيع التماهي معه والذوبان فيه.

ابحث عن الدروب. ولكن، ليكن قلبك طاهراً قبل البدء برحلتك أيها اللانو. وقبل أن تقوم بأولى خطواتك تعلم التمييز بين الصح وبين الخطأ، بين العابر دوماً والدائم دوماً. وقبل كل شيء تعلم التمييز بين حكمة الرأس وحكمة الروح، بين عقيدة العين وعقيدة القلب.

نعم، تشبه الجهالة إناءً مغلقاً وخالياً من الهواء، الروح في داخله كالعصفور الأسير الذي ليس بوسعه التغريد ولا تحريك أجنحته، حيث يبقى المغني صامتاً ومثقلاً قبل أن يموت تعباً.

ورغم هذا، تبقى الجهالة أفضل من علم نابع عن رأس يفتقر إلى حكمةٍ تنيره وتوجهه.

لا يمكن لبذور الحكمة النمو والتكاثر في مجال بلا هواء. كي تحيا التجربة وتحصد ثمارها يحتاج العقلي إلى مجال وإلى عمق، وإلى رؤوس تجذبه نحو جوهرة–الروح[56]. لا تبحث عن تلك الرؤوس في مملكة مايا، لكن حلِّق فوق الأوهام، وابحث عن الخالد والسات[57] الذي لا يتحول، وتحدَّ اقتراحات الخيال المضللة.

---

[56] – "جوهرة–الروح" أو "الفاجراساتيفا" هي اللقب الأعلى للبوذا "سيد كل الأسرار"، الذي يدعى أيضاً فاجرادهارا وآدي بوذا.

[57] – السات هو الواقع الوحيد والحقيقة الأزلية والمطلقة، تلك التي كل ما سواها وهم.

لأن العقلي كالمرآة يجذب الغبار من خلال انعكاسه[58]، لذلك هو يحتاج إلى الريح الناعمة لحكمة الروح كي يزيل غبار الأوهام. فابحث أيها المبتدىء عن توحيد عقلك وروحك.

اهرب من الجهالة وفي الوقت نفسه من الوهم. وأدر وجهك لخيبات العالم. واحذر أحاسيسك لأنها خاطئة. لكن، ابحث في جسدك، في هيكل أحاسيسك، عن الإنسان الخالد[59]، عن طريق اللاشخصنة؛ ثم وقد باشرت البحث انظر إلى الداخل: فأنت هو البوذا[60].

اهرب من المديح أيها التقي! لأن المديح يقود إلى توهم الذات. وجسدك ليس أنت، فذاتك بلا جسد بحدِّ ذاتها، والمديح أو اللوم لا يؤثران فيها.

يشبه مدح الذات أيها المريد برجاً عالياً صعد إليه مغرور أحمق، ثم جلس هناك في قلب عزلته البعيدة، ولم يشاهد إلا ذاته.

يرفض الحكيم العلم الكاذب الذي تبدده رياح قانون صالح تدور عجلته من أجل الجميع، من أجل المتواضع ومن أجل الفخور. عقيدة العين للجمهور أمَّا عقيدة القلب فللمختارين. الأولون يرددون بغرور أن: "انظروا

---

[58] – تعلم عقيدة الشين–سيو أن الروح الإنسانية تشبه المرآة حيث تجذب وتعكس كل ذرة غبار، ما يعني أنها تحتاج لأن تُراقَب ويمسح الغبار عنها كل يوم. أما شين–سيو فقد كان بطريرك الصين الشمالية الذي بشَّر بالعقيدة السرانية للبوديدهارما.

[59] – هو الشخصي المتجدد الذي يدعوه بوذيو الشمال بالإنسان الحق، ذلك الذي، متحداً مع ذاته العليا، يصبح بوذا.

[60] – كلمة بوذا هنا تعني المستنير.

نحن نعرف"؛ بينما يعترف الآخرون، ممن تلقوا المعرفة، بصوت منخفض: "هذا ما سمعناه"[61].

يا أيها المريد، تدعى "عقيدة القلب" بالغربال الأكبر.

ودولاب القانون الجيد يدور بسرعة طاحناً، ليلاً ونهاراً.

منتزعاً الكرة التي لا قيمة لها من الحبة الذهبية، والزوان من الطحين. يد الكارما هي التي تقود العجلة، ودوراتها هي دقات قلبها.

المعرفة الحقيقية هي الطحين، والعلم الكاذب هو الكرة. لذلك، إن أردت أكل خبز الحكمة فاعجن طحينك بالمياه الصافية للأمريتا (أي الخلود). لكن إن عجنت الكرة بندى المايا، فإنك لن تحصل إلا على طعام يمامة الموت، وعصافير الولادة والانحطاط والألم.

إن قيل لك إنه لكي تصبح أرهان عليك أن تكفَّ عن حب كل الكائنات، قل لهم إنهم يكذبون. وإن قيل لك إنه من أجل الوصول إلى الخلاص عليك أن تكره أمك وأن تبتعد عن ابنك، أن تستنكر أباك وتدعوه بـ"رأس العائلة"[62]، وأن تتخلى عن أية رأفة تجاه الإنسان والبهيمة؛ قل لهم إن اللغة التي يستعملون خاطئة.

---

[61] – هي عبارة تأتي عادة في مطلع الكتابات البوذية، وتعني ما تم سماعه من منقول شفهي مباشر من البوذا ومن الآرهاتات.

[62] – في الأسطورة المسماة *براتهابالا سوتراساني* كان راتهابالا يدعو أباه هكذا. لكن جميع الأساطير التي من هذا النوع رمزية (حيث يملك والد راتهابالا بيتاً له سبعة أبواب). من هنا جاء نقد أولئك الذين يقبلون هذه الأساطير على حرفيتها.

لأن هذه هي تعاليم التيرتهيكاس[63]، والسذج.

وإن علموك أن الخطيئة تأتي من الفعل، والسعادة من عدم الفعل المطلق، قل لهم إنهم مخطئون؛ فعدم استمرار الفعل الإنساني، وتحرير العقل من عبوديته عن طريق التوقف عن الخطيئة والخطأ ليست للأنوات–الديفا[64]؛ هذا ما تبشر به عقيدة القلب.

دهارما العين تجسيد للخارج وللاموجود.

ودهارما القلب تجسيد للبودهي[65] الدائم والأزلي.

ينير الفانوس بشكل جيد حين يكون فتيله وزيته نظيفين، ولكي يكونا هكذا يجب غسلهما. والريح لا تشعر بعملية التنظيف، لأن أغصان الشجرة تهزها الريح أما جذعها فيبقى ثابتاً.

يمكن للفعل واللافعل أن يجدا كلاهما مقراً في داخلك. ليتحرك جسدك، لكن ليبقَ ذهنك هادئاً، ولتكن نفسك صافية كبحيرة الجبل.

هل تريد أن تصبح يوغي دائرة الزمن؟ إذاً عليك يا أيها اللانو أن:

لا تصدق أن جلوسك في قلب الغابات المعتمة، منعزلاً، متعالياً، وبعيداً عن البشر؛ وأن بوسعك العيش من أكل الجذور والنباتات، وإطفاء الظمأ بثلج السلسلة الكبيرة؛ عليك أن لا تصدق أيها الورع أن هذا سيقودك إلى الخلاص النهائي.

---

[63] – الزهاد البراهمان الذين يزورون المعابد، وخاصةً منها تلك الحاوية على حمامات مقدسة.

[64] – الذات التي تعيد تجسدها.

[65] – الحكمة الحقيقية، الإلهية.

عليك أن لا تصدق أن تكسير عظامك، وتمزيق لحمك وعضلاتك سيوحدانك مع ذاتك الصامتة[66]؛ لا تصدق أنه حين تهزم خطايا شكلك الفج تكون قد أديت واجبك تجاه الطبيعة وتجاه البشر، يا ضحية ظلالك[67].

لقد ازدرى المباركون هذه الممارسات. وأسد القانون، سيد الشفقة، حين شاهد المسبب الحقيقي للألم الإنساني، تخلى مباشرة عن الاستراحة الناعمة والأنانية للأماكن المتوحشة والهادئة. بعدها أصبح أرانياكا[68] معلم الجنس البشري. ودخل جولاي[69] النيرڤانا، مبشِّراً في القمم والسهول، ملقياً الخطب في المدائن أمام الديفا والبشر والآلهة[70].

ازرع أفعال خير وستحصد ثمارها، فإغفال فعل خيرٍ يصبح خطيئةً مميتة.

هكذا تكلم الحكيم.

هل ستتوقف عن الفعل؟ هكذا لن تحصل نفسك على حريتها. لبلوغ النيرڤانا عليك بلوغ معرفة الذات، ومعرفة الذات هي ابنة أفعال خيرة.

---

[66] – هي الذات العليا، أو المبدأ السابع.

[67] – تدعى أجسادنا الفيزيائية بالظلال في المدارس الباطنية.

[68] – هو الناسك الذي يعتزل في الغابة حين يصبح يوغياً.

[69] – جولاي هو الاسم الصيني لتاتهاغاتا، اللقب الذي يطلق على كل بوذا.

[70] – تتفق جميع الأعراف المتناقلة للشمال والجنوب على التبيان بأن البوذا قد ترك عزلته بمجرد أن وجد حلاً لمعضلة الحياة (بمعنى الاستنارة الداخلية)، وأعطى تعاليمه للبشر علناً.

كن صبوراً أيها المريد كالشخص الذي لا يخاف الفشل، ولا يتملق النجاح. وركِّز نظرات روحك على النجمة التي أنت شعاعها[71]، تلك النجمة البرَّاقة التي تشع في أعماق ظلمات ذلك الموجود دائماً في حقول المجهول غير المحدودة.

وكن مثابراً كشخصٍ لا يدوم إلى الأبد. خيالاتك تعيش وتتلاشى[72]، لأن ما سيحيا في داخلك دائماً، لأن ما في داخلك يعرف أن تلك المعرفة[73] ليست هذه الحياة الفانية، إنما هو الإنسان الكائن في الماضي والحاضر والمستقبل، ذلك الذي لن تأتي ساعته أبداً.

إن شئت حصاد السلام الناعم والراحة أيها المريد ازرع بذور الاستحقاق في حقول حصاد المستقبل، وتقبَّل آلام الولادة.

ابتعد من الشمس إلى الظل، ودع المزيد من المكان للآخرين، فالدموع التي تروي تربة الألم الجافة تنبت من آلام أزهار وثمار الثواب الكارمي. وفوق أتون الحياة الإنسانية ودخانها الأسود، يرتفع اللهب المجنح، ذلك اللظى المطهر الذي، آخذاً قوة دفعه من العين الكارمية، بوسعه نسج اللحمة المجيدة لملابس الدرب الثلاثة[74].

---

[71] – تعتبر العقيدة الباطنية أن أي ذات روحية هي ابنة شعاع "روح كوكبية".

[72] – لأن الشخصيات أو الأجساد الفيزيائية عابرة كالخيالات، من هنا كانت هذه التسمية.

[73] – يرتبط العقلي (أو الماناس)، الذي هو مبدأ الإنسان أو ذاته، بجوهر المعرفة، لأن ذوات البشر التي تدعى ماناسا بوترا هي بنات العقلي (الكوني).

[74] – للتأمل في الهامش 37 الذي يقول: إنه الاحترام الشعبي نفسه الذي يدعو البودهيستفا الذين بلغوا مرتبة الآرهاتات (أي الذين أتموا الدرب الرابع أو السابع) بـ"بوذا الرحمة". فهؤلاء

يرفضون الانتقال إلى الحالة النيرڤانية، أو "**أن يلبسوا ثوب الدهارماكايا ويعبروا إلى الضفة الأخرى**"، ما يجعلهم غير قادرين على مساعدة البشر، بقدر ما يسمح لهم الكارما بذلك. لذلك نراهم يفضلون البقاء (بروحهم إن صح القول) في العالم، ويساهمون في خلاص البشر عن طريق التأثير بهم لكي يتبعوا القانون الصحيح، أي بإرشادهم إلى درب العدالة. لذا من الشائع في البوذية الظاهرية في الشمال أن تكرم هذه الشخصيات الكبيرة كالقديسين، وأن تقدم لهم الصلوات نفسها، تماماً كما يفعل اليونان والكاثوليك مع قديسيهم وأوليائهم؛ لكن في المقابل لا تشجع العقائد الباطنية هذه الممارسات. حيث هناك فارق كبير بين التعليمين. بالكاد يعرف العلماني من الظاهر معنى كلمة نيرماناكايا، – من هنا كان الخلط وكانت التفسيرات غير الكافية للمستشرقين. مثلاً، يعتقد شلاجينتفايت أن النيرماناكايا تعني الشكل الفيزيائي الذي يتخذه البوذاوات حين يتجسدون على هذه الأرض، – "**ذلك الشكل الأقل سمواً لموانعهم الأرضية**" (راجع بودي في التيبت) – وينطلق من هذا لإعطاء رؤية مخطئة تماماً عن الموضوع. إليكم رغم هذا العقيدة الصحيحة: حيث تدعى الأجساد أو الأشكال البوذية كما يلي:

1: نيرماناكايا. 2: سامبهوكاكايا. 3: دهارماكايا.

حيث الأول هو الشكل الأثيري الذي نأخذه حين نغادر الجسد الفيزيائي، فنظهر على شكل جسد نجمي، وذلك إن كنا نملك كل معرفة المريد. ويطور البوديستفا في داخله هذا الشكل مع تقدمه على الدرب. ثم بعد وصوله إلى الهدف ورفض جني ثماره يبقى على الأرض كمريد. وحين يموت، وعوضاً من أن ينتقل إلى النيرڤانا، يبقى في قلب هذا الجسد المجيد الذي بناه بنفسه، غير مرئي بالنسبة للإنسانية غير العارفة، من أجل مراقبتها وحمايتها. السامبهوكاكايا هو الشيء نفسه، الذي يتمتع إضافة لما سبق بالبريق الإضافي للـ"الفضائل الثلاث" التي إحداها هي المحو الكامل لكل علاقة أرضية. أما جسد الدهارماكايا فهو بوذا مكتمل، أي بلا جسد على الإطلاق إنما مجرد نفحة مثالية؛ حيث يصبح الوعي مبتلعاً بالكامل من قبل الوعي الكوني، والروح خاليةً من كل خاصية. وهنا، بمجرد أن يبلغ درجة الدهارماكايا، يدع المريد أو البوذا خلفه كل علاقة ممكنة مع الأرض، وكل تفكير بها. وهكذا، كي يتمكن المريد الذي بلغ درجة النيرڤانا من مساعدة الإنسانية فإنه يتنازل عن

وهذه الملابس هي: النيرماناكايا، والسامبهوكاكايا، والدهارماكايا، ذلك اللباس الجليل[75].

بوسع ثوب شاننيا[76]، هذا صحيح، أن يوفر النور الخالد. لكن ثوب شاننيا لوحده يعطي النيرڤانا المدمرة، لأنه يمنع الولادة الجديدة، أيها اللانو، ويقتل الشفقة. ما يعني أن البوذايات الكمَّل حين يلبسون مجد الدهارماكايا، لن يكون بمستطاعهم مساعدة البشر على الخلاص. فهل يعني هذا، مع الأسف، التضحية بالذوات من أجل الذات، وبالجنس البشري من أجل وحدات؟

اعلم أيها المبتدىء أنك تقف هنا أمام درب مفتوح، درب السعادة الأنانية التي يرفضها بودهيساتلفا القلب السرَّاني، وبوذاوات الشفقة.

"جسده الدهارماكي" وفق اللغة السرَّانية، ولا يحتفظ إلا على معرفة السامبهوكايا الكبيرة والكاملة، ويبقى في جسده اليرماناكي. وفق المدرسة الباطنية، فإن الغوتاما بوذا، وعدد من الآرهاتات التابعة له، هو نيرماناكايا من هذا النوع، حيث وبسبب زهده وتضحيته من أجل البشرية لا يعرف من هو أعلى منه.

[75] – المرجع نفسه.

[76] – ثوب شاننيا، الذي لشاننيافيسنو من راجاغريها، ثالث الآرهاتات الكبار أو البطاركة، كما يدعو المستشرقون سلالة الثلاث والثلاثين آرهاتاً الذين نشروا البوذية. وثوب شاننيا يعني، مجازاً، تملك الحكمة التي عن طريقها يصبح بوسعنا ولوج نيرڤانا التدمير (التابع للشخصية). ما يعني حرفياً "ثوب المساررة" التي يلبسها المعتنقين الجدد. يقول إدكينز إن هذا "**الثوب الذي من الحشائش**" قد استورد من الصين أيام سلالة التونغ. كما وتقول الأسطورة الصينية والتيبتية أنه "حين يولد أرهان، فإننا نجد هذه النبتة في مكان طاهر".

أن تحيا لصالح الإنسانية هي الخطوة الأولى، وأن تمارس الفضائل الستة المجيدة[77] هي الخطوة الثانية.

فلبس ثوب النيرماناكايا المتواضع يعني التخلي الذاتي عن السعادة الأزلية من أجل المساعدة على خلاص البشر. أن تصل إلى طوباوية النيرڤانا، وأن تتخلى عنها، هي الخطوة الكبرى، الخطوة الأخيرة والعليا على درب نكران الذات.

لذا خذ علماً أيها المريد أن هذا هو الدرب الخفي، درب بوذاوات الكمال الذي ضحوا بذاتهم من أجل ذوات أضعف.

ولكن، إن لم يكن بوسعك أن تطال أجنحة عقيدة القلب، إن كنت أنت نفسك في حاجة إلى المساعدة وكنت تخشى تقديمها للآخرين؛ ألا خذ علماً في الوقت المناسب يا أيها الإنسان ذو القلب الخجول أن عليك الاكتفاء بعقيدة العين. لكن، ابق محافظاً على رجائك. إن لم يكن بوسعك ولوج الدرب الخفي اليوم، فإنه سيكون في متناولك غداً[78]. واعلم أن أي جهد يبذل في أي اتجاه، سواء كان جيداً أو خاطئاً، لن يغيب عن عالم المسببات. لأنه حتى الدخان المتلاشي لا يبقى بلا أثر. "**والكلمة القاسية التي تم التفوه بها في حيوات سابقة لن تزول إنما ستعود دائماً**"[79]. فثمرة الفلفل لا تلد أزهاراً، ونجمة الياسمين الفضية لن تتحول إلى شوك.

---

[77] – "اتباع طريق باراميتا" يعني أن تصبح يوغياً من أجل أن تكون زاهداً.

[78] – المقصود بالغد هنا في الحياة القادمة، حين يعود فيتقمص من جديد.

[79] – مفاهيم مدرسة براسانغا.

بوسعك أن تخلق اليوم حظوظ غدك، ففي الرحلة الكبرى[80] يكون لجميع المسببات التي زرعت في كل الأوقات حصادها من النتائج؛ هو عدل صارم يحكم العالم. ومن خلال دفع جبار لفعل لا يخطئ، يعطي البشر حياة سعيدة أو تعيسة، تلك الابنة الكارمية لأفكارهم وأفعالهم السابقة.

احمل إذاً كل ما خزَّنَته الجدارة من ذخيرة في داخلك، يا أيها الإنسان ذو القلب الصبور. وكن شجاعاً وراضياً بالقدر. فتلك هي كارماك، كارما دورة ولاداتك، ومصير أولئك الذين وسط الألم والعذاب ولدوا في الوقت نفسه معك. أولئك الذين يفرحون ويبكون من حياةٍ إلى حياة، تقيدهم أفعالهم السابقة.

افعل من أجلهم اليوم، وسيردون لك الجميل غداً.

فمن برعم التخلي عن الذات تنبثق ثمرة الخلاص النهائي.

محكوم بالفناء من، بسبب خوفه من مارا، يمتنع عن مساعدة الإنسان خوفاً على ذاته. فالمسافر الراغب في ترطيب قدميه المنهكتين في المياه الجارية، والذي يخاف من الغوص خوفاً من التيار، قد يهلك من الحرِّ. واللافعل الذي منطلقه الخشية الأنانية لا يحمل إلا ثماراً سيئة.

يعيش الورع الأناني بلا هدف. ومن لا ينجز المهمة التي كلف بها في هذه الحياة تكون حياته بلا معنى.

اتبع عجلة الحياة. اتبع عجلة الواجب تجاه بني جنسك وعائلتك، تجاه الصديق والعدو، واغلق نفسك للملذات وللأسى. استهلك قانون الثواب الكارمي. واكسب السيديس من أجل ولاداتك المستقبلية.

---

[80] – الرحلة الكبرى تعني الحلقة الدائرية الكاملة للوجود كله.

إن لم يكن بوسعك أن تكون شمساً، فكن مجرد كوكب متواضع. نعم، إن لم يكن بوسعك أن تشع كالشمس عند الظهيرة على الجبل المكلل بثلج الطهارة الأزلية؛ في هذه الحال، عليك أن تختار أيها المستجد مهنةً أكثر تواضعاً.

ارشد إلى الطريق كنجمة المساء – ولو من دون تمييز، حتى وإن كنت ضائعاً وسط الجمهور – أولئك الذين يتلمسون طريقهم في الظلام.

انظر إلى ميجمار، الذي داعبت عيناه، عبر خماره القرمزي، الأرض الناعسة. انظر إلى الهالة الوهاجة ليد الهاجبا الممتدة بحنو محب فوق رأس نساكه. الآن كلاهما يخدم النييما (أو النجمة)[81]، وكلاهما يسهر بصمت في الليل حين تغيب. وذلك رغم أن كلاهما كان نييما مشعة في كالباس السابقة، على الرغم من أنهما في مستقبل الأيام سيعودان شمسين من جديد. فتلك هي أعالي ومنخفضات القانون الكارمي للطبيعة.

كن مثلهم أيها اللانو. أرشد وواسِ المسافر التعب، وابحث عمن هو أقل منك معرفةً؛ هذا الجالس الذي أنهكه الحزن، والتواق إلى خبز الحكمة كتوقه إلى الخبز الذي يطعم الظل...، بلا معلم ولا لاما ولا عزاء؛ واجعله يستمع إلى الشريعة.

وقل له، أيها المرشح، إن من يجعل من الكبرياء وحب–الذات خداماً للتقوى؛ والذي رغم تمسكه بالوجود، يضع صبره وخضوعه عند قدمي

---

[81] – نييما (التي ترجمناها بالنجمة) هي الشمس في علم التنجيم التيبتي. أمَّا ميجمار أو المريخ فيرمز لها بعين. بينما يرمز للهاجبا الذي هو عطارد بيد.

الشريعة كالوردة الناعمة عند قدمي شاكيا–تهوبا[82]، يصبح سروتابياً[83] في هذه الحياة. حيث يمكن لسيدهيات الكمال أن تشع من بعيد، من بعيد جداً. لقد تمت الخطوة الأولى، ودخل في التيار، وأصبح بوسعه تملك البصيرة الخارقة لنسر الجبال، وحدَّة سمع أنثى الأيل.

اخبره، أيها المرشح، أن بوسع التقوى الحقيقية إعادة المعرفة إليه، تلك المعرفة التي كان يمتلكها في تجسدات سابقة، وأنه لا يمكن الحصول على رؤية–ديفا وسمع–ديفا خلال حياة واحدة قصيرة.

كن متواضعاً إن شئت الوصول إلى الحكمة.

كن متواضعاً أيضاً إن شئت أن تنال الحكمة.

كن كالمحيط الذي تصبُّ فيه كل الجداول والأنهار. المحيط الهادئ الجبار لا يتبدل، لأنه لا يشعر بها.

دع ذاتك الإلهية تتحكم بذاتك السفلية.

ودع الأزلي يتحكم بالإلهي.

نعم، عظيم هو ذلك الذي قتلت ذاته الإلهية كل معرفة بالشهوة.

وراقب السفلي خوفاً من أن يلوث العلوي.

في داخلك يوجد درب الحرِّية النهائية.

ذلك الدرب الذي يبدأ وينتهي خارج ذاتك[84].

---

[82] – أي بوذا.

[83] – السروتابي أو "من يدخل في تيار" النيرڤانا، ما لم يصل إلى الهدف لسبب خارق، نادراً ما يكون بوسعه الحصول على النيرڤانا خلال تناسخ واحد. يقال عادة إن الشيلا يبدأ جهوده التصعيدية في حياة ولا ينهيها، أو لا يصل إلى الهدف إلا في ولادته السابعة.

[84] – بمعنى الذات السفلى.

أم كلِّ الأنهر لا يمتدحها البشر، وهي لا تمثل شيئاً للمتكبر. تيرتهيكا: فارغ الشكل الإنساني في أعين التافهين، ورغم أنه مشبع بالمياه العذبة لأمريتا. يبقى ينبوع الأنهر المقدسة هو الأرض المقدسة[85]. لأن من يملك الحكمة يكرِّمه كل البشر.

الأرهانات والحكماء، ذوو المنظور اللامتناهي[86]، نادرون كزهر أشجار الأودومبارا. يولد الأرهانات عند منتصف الليل، في نفس الوقت الذي تولد فيه النبتة المقدسة ذات التسعة والسبعة جذور[87]. تلك الزهرة المقدسة التي تتفتح وتزدهر في الظلمات، تحت الندى النقي وعلى السرير المتجمد للأعالي المغطاة بالثلوج، تلك الأعالي التي لم تطأها أبداً أقدام الخطأة.

لا يصبح المرء آرهاناً أيها اللانو في ذلك التجسد الذي تبدأ فيه النفس، وللمرة الأولى، التوق إلى الخلاص الأخير. ومع ذلك، يا أيها الحريص، لا يمكن لأي محارب يتقدم طوعاً للقتال في ذلك الصراع المحتدم بين الأحياء والأموات[88]، ولا لأي مجندٍ، أن يرفض حق ولوج الدرب المؤدي إلى ساحة المعركة.

حيث عليه أن ينتصر أو يفنى.

---

[85] – التيرتهيكاس هم طائفة البراهمان الباهمان الذين يقطنون ما وراء الهيمالايا، ويسميهم بوذيو الأرض المقدسة (التيبت) بالكفرة من قبل والعكس صحيح.

[86] – المنظور اللامتناهي أو المنظور النفسي الذي يفوق قدرة البشر. وينسب للأرهان القدرة على رؤية كل شيء، عن بعد كما عن قرب.

[87] – راجع الملاحظة رقم 76: نبتة السانغا.

[88] – الحي هو الذات أو الإيغو العلوي الذي لا يفنى. والموت هو الذات السفلية الخاصة.

فإن انتصر، تكون له النيرڤانا. وقبل أن يتخلى عن ظله – جسده الفاني، هذا المسبب المثمر للهلع والألم اللامتناهي – سيمجد فيه البشر بوذا كبيراً ومقدساً.

وإن فني، فإن فناؤه، حتى، لن يكون سدىً؛ حيث لن يعود إلى الحياة الأعداء الذين قتلهم في معركته الأخيرة خلال تجسده القادم.

لكن إن شئت بلوغ النيرڤانا، أو رفض الثمن، فلا تتخذ كذريعة لك ثمرة الفعل واللافعل يا أيها الإنسان ذو القلب الجامح.

واعلم أن البوديساتفا الذي يتخلى عن الخلاص، كي يلبس تعاسات الحياة السرِّية[89]، سيلقب بالمبجل بالثلاثة، يا مرشح الألم على مرِّ دورات الزمن.

الدرب واحد أيها المريد، رغم أنه يبدو مزدوجاً في النهاية. وعلامات مراحله هي أربع وسبع بوابات. سعادة آنية – من طرف؛ وسعادة مؤجلة – من طرف آخر. وكلاهما مكافأة للاستحقاق. فالخيار بين يديك.

ويصبح الواحد هو الاثنان، المفتوح والسرِّي[90]. الأول يقود إلى الهدف، والثاني إلى التضحية بالذات.

عندما تضحي بالمتحول من أجل الثابت، فإن المكافأة هي لك: لأن القطرة تعود من حيث أتت. فالدرب المفتوح يقود إلى التغير الذي لا يتحول للنيرڤانا، تلك الحالة المجيدة من المطلق، تلك الغبطة التي تتجاوز الفكر البشري.

---

[89] – الحياة السرية هي حياة النيرماناكايا.

[90] – إنهما الدرب المفتوح والدرب السرِّي؛ حيث الواحد هو الدرب الخارجي الذي يعلم للعلمانيين وهو مقبول بشكل عام؛ بينما الثاني هو الدرب السرِّي الذي تشرح طبيعته أثناء المسارة.

وهكذا يكون الدرب الأول هو التحرر.

أمَّا الدرب الثاني الذي هو التخلِّي فيدعى بدرب الألم.

وهذا الدرب السرِّي يسبب للأرهان ألماً ذهنياً لا يوصف؛ ذلك الذي من أجل الأموات الأحياء[91]. تلك الشفقة على البشر المحكومين بالشقاء الكارمي. ثمرة الكارما التي لا يتجرأ الحكماء على تخفيفها.

لأنه كتب: "**علِّم الهرب من كل المسببات؛ أما فيما يتعلق بموجات الأثر، فكموجة المد الكبرى، دعه يتبع مجراه**".

وبمجرد الوصول إلى هدف الدرب المفتوح ستدفع لرفض الجسم البودهيساتفي وللدخول إلى حالة الدهارماكايا[92] الممجدة ثلاث مرات، والتي تعني النسيان الدائم للعالم وللبشر.

ويقود الدرب السرِّي أيضاً إلى الغبطة البانانيرڤانية – لكن ذلك سيكون في نهاية الكالباسات التي لا تحصى: بعد تلك النيرڤانات التي اكتسبت أو ضاعت بسبب الشفقة اللامتناهية والرحمة في العالم المخدوع للفانين.

لكنه قيل إن "**الأخير سيصبح الأكبر**". فسامياك سامبودها، معلم الكمال تخلى عن ذاته من أجل خلاص العالم، متوقفاً عند عتبة النيرڤانا، الحالة الصافية.

أنت تملك الآن المعرفة المتعلقة بالدربين. وسيأتي الوقت الذي يتعيَّن عليك فيه الاختيار، حين تصل إلى النهاية وتعبر البوابات السبعة، يا أيها الإنسان ذو النفس المتوهجة. فأنت لم تعد مرتبكاً بالأفكار الخادعة، لأنك

---

[91] – يدعى البشر الذين يجهلون الحقائق والحكمة الباطنية بالأموات الأحياء.

[92] – العودة إلى الملاحظة 74.

تعلمت كل شيء. ولأن الحقيقة تقف أمامك مكشوفة النقاب، تنظر إليك بصرامة وتقول:

"**حلوة ثمار الراحة والخلاص من أجل الذات؛ لكن أكثر منها عذوبةً هي ثمار الواجب الطويل والمرير لإنكار الذات حباً بالآخرين، في سبيل حب أخوتنا المعذبين في الإنسانية**".

من يصبح براتييكا بوذا[93] لا يخضع إلا لذاته.

لذلك يقول البودهيساتفا الذي ربح المعركة وأمسك الجائزة بيده، ومن خلال رحمته الإلهية:

"**من أجل حب الآخرين أتخلى عن هذه المكافأة الكبرى**". ويتم التخلي الكبير.

لقد أصبح منقذاً للعالم. تلك هي حاله.

انظر! إنهما هناك بعيداً، هدف السعادة الأبدية ودرب الألم الطويل. وبوسعك يا طالب الألم، أن تختار هذا أو ذاك للدورات القادمة.

أوم فاجراباني هوم

---

[93] – البراتييكايا بوذا هم البوديساتفاس الذين يسعون، وبعد سلسلة من التجسدات، للحصول على ثوب الدهارماكايا. لذا تراهم، غير عابئين بآلام الإنسانية وبمساعدتها، يدخلون النيرڤانا... ويختفون من ناظر ومن قلوب البشر. في بوذية الشمال، تعني كلمة براتييكابودا الأنانية الروحية.

الفصل الثالث

الفصل الثالث

البوابات السبع

"لقد حسمت خياري أيها الأوبادهيا[94]، فأنا متعطش إلى الحكمة. وها أنا قد مزَّقت الحجاب الذي يخفي الدرب السرِّي، وبشَّرتُ باليانا الكبرى[95]".

"ها قد أصبح خادمك تحت تصرفك لكي تقوده".

هذا حسن، أيها الشرافاكا[96]. فاستعد لأن عليك السفر بمفردك. حيث ليس بوسع المعلم أن يرشدك إلى الطريق. الدرب واحد للجميع، لكن طرق الوصول إلى الهدف تختلف باختلاف المسافرين.

أي طريق ستختاره يا أيها الإنسان ذو القلب الشجاع؟ أتراه درب السامتان[97] الذي بشَّرتْ به عقيدة العين، الدرب الرباعيُّ للدهيانا؟ أم أنك

---

[94] – أوبادهيا هو المرشد الروحي، أو الغورو. يختار بوذيو الشمال عادةً أولئك المعلمين من بين "النالجور"، أو القديسين من البشر، أولئك الذين يعرفون الغوترابهو–جنانا، والجنانا–دارشاناشودهي، معلِّمو الحكمة المستورة.

[95] – اليانا تعني العربة: وهكذا فإن الماهايانا هي "العربة الكبرى"، والهينايانا "هي "العربة الصغرى"؛ وهي تسميات لمدرستين للعلوم الدينية والفلسفية عند بوذيي الشمال.

[96] – الشرافاكا هو الشخص المستمع، أو الطالب الذي يتبع التعليمات الدينية. وجذرها "شرو". حيث عندما ينتقلون من النظري إلى العملي، أو لنقل إلى تحقيق الزهد، فإنهم يصبحون شراماناس أي أولئك الذين يطبقون الشراما عملياً. كما تبين نظرية هاردي، يتوافق التعبيران مع الكلمات اليونانية: [akoustikoï] αkoupsilon;στικοι و[askètaï] ασκητalpha;ι.

[97] – كلمة (سامتان) التيبتية، هي نفسها كلمة دهيانا السنسكريتية، وهي حالة التأمل التي من أربع مراتب.

ستشقُّ طريقك عبر الباراميتاس[98] الستة، تلك البوابات النبيلة التي توصل إلى البودهي والبراجنا، تلك العتبة السابعة للحكمة.

فالدرب الصلد للدهيانا الرباعية متعرج وقاس. مثلث العظمة من يكون بوسعه الوصول إلى القمة العالية.

كما سيكون عبور مرتفعات الباراميتا عبر طريق أكثر صعوبةً، حيث عليك شقُّ طريقك من خلال البوابات السبع، تلك المتاريس السبعة التي تسيطر عليها قوى قاسية وخبيثة – العواطف المتجسدة.

حظاً سعيداً إذن أيها المريد، وتذكَّر القاعدة الذهبية، لأنك بمجرَّد أن تعبر البوابة، أيها السروتاباتي[99]، بمجرَّد أن تطأ قدمك سرير التيار النيرڤاني في

---

[98] – هي الفضائل الستة العليا: الإحسان، الأخلاق، الصبر، الطاقة، التأمل، والحكمة. أما بالنسبة للنساك فعدد هذه الفضائل عشرة حيث يُضاف إلى السابق: الصراط المستقيم، العلم، الزهد، والحزم في الإرادة (البوذية الصينية وفق بيتل).

[99] – لغوياً تعني كلمة السروتاباتي ذلك الذي "**دخل في قلب التيار**" الذي يقود إلى المحيط النيرڤاني. وهو يشير إلى الدرب الأول. أما الدرب الثاني فهو درب الساكريداجامين "**من سيعود إلى الحياة مرة واحدة فقط**". أما الدرب الثالث فيدعى الأناجيم "**وهو من لن يتجسد مرة أخرى**" وأراد ذلك من أجل مساعدة الجنس البشري. أما الدرب الرابع فهو المعروف بالراهات أو الآرهات، وهو الأكثر سمواً؛ فالآرهات هو من يرى النيرڤانا خلال حياته، لأنها بالنسبة له ليست حالة يتمُّ الوصول إليها بعد الممات إنما ذلك السامادهي الذي يتيح له عيش حالة الطوبى النيرڤانية. (كم بوسعنا الاعتماد على المستشرقين لفهم الكلمات والمعاني الدقيقة فيما يتعلق بالسلطات المزعومة الثلاث؟ وهكذا فإن الكلمات الأربعة التي شرحناها يقدمها ر. سبينس هاردي كما يلي: 1 – سووان، 2 – ساكرداجمي، 3 – أناجامي، 4 – آريا. أما شلاجينفايت فنراه يتهجاها بشكل مختلف، وكل منهما يعطي معاني مختلفة لهذه الكلمات).

هذه الحياة، لن يبقى أمامك في أية حياة مستقبلية إلا سبعة تجسدات، يا صاحب الإرادة الماسية.

انظر، ما هذا الذي تراه عينك يا أيها الساعي إلى حكمة الآلهة؟

"**إنه معطف الظلام يغطي أعماق المادة، وأنا أتخبط في ثناياه. إنها تزداد عمقاً تحت ناظري، يا ربي؛ وتندثر مع حركة يدك. إنه مجرد ظلٍّ يتحرك زاحفاً متمدداً كثنايا ثعبان... فيكبر وينتفخ وسط الظلام**".

"**إنه ظلُّك الممتد خارج الدرب والمنعكس من خلال ظلمات خطاياك**".

"**نعم، إني أرى الدرب يا ربي؛ قدمه في الطين، وقممه ضائعة في قلب النور النيرڤاني المجيد. وها أنا الآن أرى البوابات التي تتقلَّص على الدرب الوعر والشائك للجنانا**".

لأنه كما ترى، أيها اللانو، تقود هذه البوابات المريدَ عبر الأمواج إلى الضفة الأخرى[100]. كل بوابة منها يفتحها مفتاح ذهبي؛ وهذه المفاتيح هي:

1. دانا التي هي مفتاح الشفقة والحبِّ الذي لا يموت.
2. شيلا وهو مفتاح التناغم بين الكلام والأفعال، ذلك المفتاح الذي يعيد التوازن بين العلَّة والمعلول، ولا يدع مجالاً للفعل الكارمي.
3. الكشانتي الذي هو الصبر الهادىء الذي لا يمكن الإساءة إليه.
4. الفيراجا أو اللامبالاة بما يتعلَّق بالمتعة والألم، والتغلب على الوهم، وتصور الحقيقة وحدها.

---

[100] – بالنسبة لبوذيي الشمال يعني "**الوصول إلى الضفة**" تحقيق النيرڤانا عن طريق ممارسة الباراميتاس (الفضائل) الستة والعشرة.

5. الفيريا أو الطاقة التي لا تقهر فتشقُّ طريقها نحو الحقيقة الخارقة متجاوزةً أوحال الأكاذيب الأرضية.
6. الدهيانا التي حين تنفتح بوابتها الذهبية تقود الناجلور (وهو الإنسان الخالي من الخطايا، أو القديس) إلى مملكة السات الخالد وتأمله الأزلي.
7. البراجنا التي يصبح حامل مفتاحها إلهاً فتخلق منه بوديساتفا، ويصبح ابناً للدهياني.

هذه هي المفاتيح الذهبية للبوابات. لذلك قبل أن يكون بوسعك الاقتراب من آخرها، يا حائك حريتك، عليك أن تتملَّك، طيلة الدرب القاحل، باراميتاس الكمال، تلك الفضائل المتعالية، الستة والعشرة.

لأنه عليك أن تتذكَّر، أيها المريد، عليك أن تتذكَّر ما قيل لك قبل أن يُسمح لك حتى بمقابلة أستاذك في الضوء، معلِّمك الذي من ضوء. فما الذي قيل لك؟

قبل أن يكون بوسعك مقاربة البوابة الأولى، عليك أن تتعلَّم كيف تمايز جسدك عن عقلك، وكيف تبدِّد الظلال، وتحيا وسط الأزلية. من أجل هذا الهدف، عليك أن تحيا وتتنفَّس في كلِّ شيء، كما يتنفَّس كلُّ شيء من خلالك. عليك أن تشعر أنك موجود في كلِّ الأشياء، كما هذه الأشياء موجودة في ذاتك.

عليك ألا تدعَ حواسك مرتعاً لألاعيب ذهنك.

لا شيء يفصل كيانك عن الكائن وعما تبقى. إنما ستصبح القطرة التي تبتلع المحيط، كما يبتلع المحيط القطرة.

وهكذا ستصبح في تناغم كامل مع كلِّ شيء حيٍّ. وستحبُّ البشر كما لو كانوا أخوتك وأتباعك، كتلاميذ لمعلم واحد، وأبناء للأمِّ الحنونة.

كثرٌ هم المعلِّمون، لكن الروح السيدة واحدة[101]، إنها الألايا، الروح الكونية. عش من خلال هذا المرشد كما يحيا نوره في قلبك. عش من خلال رفاقك كما يحيون هم من خلاله.

وقبل أن تطلَّ على عتبة الدرب، قبل أن تعبر البوابة الأولى، عليك أن تغمر الاثنين في الواحد، وأن تضحِّي بالشخصي من أجل الذات اللاشخصية، وأن تدمِّر الدرب الذي بينهما، أي الأنتاهكارانا[102].

عليك أن تتهيأ للإجابة على الدهارما، ذلك القانون الحازم، الذي سيسألك بصوته منذ البداية، منذ خطوتك الأولى:

"**هل اتَّبعت كل القواعد، يا صاحب الآمال الكبيرة؟**"

"**هل وهبت قلبك وعقلك للعقل الكبير ولقلب كلِّ الجنس البشري؟**" لأنه، كالصوت المدوي للنهر المقدس الذي يعكس صدى أنغام الطبيعة[103]، كذلك

---

[101] – الروح السيدة هي الألايا، الروح الكونية أو الآتمان، تلك التي يوجد منها، في قلب كل إنسان، شعاع يستطيع أن يتماهى ويندمج معه.

[102] – الأنتاهكرانا هي الماناس السفلي، درب التواصل بين الشخصية والماناس العلوي الذي هو الروح الإنسانية. كوسيط للتواصل، هو يزول عند الممات، لكن تبقى بقاياه على شكل كارومبا بمعنى "الجسم" النجمي.

[103] – في الواقع، يجد بوذيو الشمال، وعملياً كل الصينيين، في الصوت العميق لبعض الأنهار الكبيرة والمقدسة صدىً للطبيعة، من هنا جاءت المقارنة. وهذا شيء يقر به العلم الفيزيائي، وكذلك علم الباطن. إن محصلة أصوات الطبيعة، كتلك التي يسمعنا إياها هدير الأنهار الكبيرة، أو الصوت الآتي من قمم الأشجار المتمايلة في قلب الغابة، أو أصوات المدينة الآتية من بعيد، تشكل جميعها صوتاً واحداً محدداً ذا نغم محبب. وهذا ما أثبته

يجب على قلب "**من أراد ولوج التيار**" أن يهتزَّ متجاوباً مع كل زفرة، وكل فكرة لما هو حيٌّ ويتنفَّس.

حيث نستطيع مقارنة الأتباع بحبال الفينا التي توقظ أصداء الروح، كما نستطيع مقارنة الإنسانية على مائدة وئامها واليد التي تداعبها، بالنفس الموائمة للروح الكبرى للعالم. فالحبل الذي لا يستطيع الاستجابة لملامسة المعلِّم، والتناغم بدماثة مع كلِّ الآخرين، سينقطع وسيرفض. كذلك الأرواح الجماعية للانو–شرافاكاس، عليها التوافق مع روح الأوبادهيا، والاتحاد مع الروح الصاعدة، وإلا ستنكسر.

هكذا هم أخوة الظلام، قتلة أرواحهم، العشيرة المخيفة للدادوجباس[104].

فهل والفت روحك الألم العظيم للإنسانية، يا أيها المرشح للنور؟

علماء العلوم الفيزيائية وكذلك الموسيقيون، كالبروفيسور رايس (فيما يتعلق بالموسيقى الصينية) الذي برهن أن الصينيين قد عرفوا هذا الواقع منذ آلاف السنين حين قالوا إن مياه *الهوانغ هو* المتدفقة أعطت الكونغ، الذي هو النغمة الكبرى في الموسيقى الصينية، والتي كما يبرهن هي نفسها الفا: "**تلك التي يعتبرها العلم الفيزيائي الحديث حالياً منشطاً للطبيعة**". أما البروفيسور ب. سيليمان، فيقول الشيء نفسه في مبادئه الفيزيائية حيث: إن "**هذه النغمة هي الفا الوسطى للبيانو التي يصدرها كل من يحيا ويتنفَّس**".

[104] – يعتبر البون أو الدوجباس، ويدعون أيضاً بفريق "القبعات الحمر"، الفرقة الأكثر معرفة بشؤون السحر، وهم يسكنون في التيبت الغربي، التيبت الصغير أو البوتان. وجميعهم من التانتريكاس. لذلك فإنه من أعلى درجات السخرية أن نرى المستشرقين الذين زاروا حدود التيبت، كشلاغينفايت وآخرين، يخلطون بين الطقوس والممارسات المقرفة لهؤلاء الناس وبين المعتقدات الدينية للاما الشرقيين، أي "القبعات الصفر"، وأتباعهم من القديسين أو النالجور. وتعتبر هذه الملاحظة مثالاً على ذلك.

هل فعلت؟ بوسعك الدخول إذن. ولكن، قبل أن تطأ قدمك الدرب المقفر للألم، من المفيد أن تتعرف إلى مستنقعات هذا الطريق.

مسلحاً بمفتاح الإحسان، والحبِّ والتقوى الناعمة. بوسعك أن تكون مطمئناً أمام بوابة الدانا المنتصبة عند مدخل الدرب.

فانظر أيها المسافر السعيد! كيف أن البوابة التي تواجهك عالية وعريضة، كيف يبدو ولوجها سهلاً. فالطريق التي تعبرها مستقيمة، متَّحدة ومخضرَّة. إنها تشبه الفرجة المضاءة في أعماق الغابة المظلمة، نقطة انعكاس أرضيٍّ لجنَّة أميتابا. فيها وسط الأجمات الخضراء تغني عنادل الأمل، تلك الطيور ذات الريش الساطع، لنجاح المسافرين الذين بلا خوف. إنها تغني الفضائل الخمس للبوديساتفا، الينابيع الخمسة لسلطة البودهي، والخطوات السبع في قلب المعرفة.

اعبر! فأنت تملك المفتاح؛ وأنت في أمان. والطريق نحو البوابة الثانية خضراء أيضاً: لكنها صاعدة ومتعرجة، نعم، وحتى قمتها المبحصة. غيوم قاتمة تغطي مرتفعاتها القاسية والكثيرة الحجارة، وكل ما وراءها داكن. ومع تقدُّم المسافر، ينخفض صوت أغنية الأمل في قلبه، وتتلبسه ارتعاشة الشك، وتصبح خطوته أقل وثوقاً.

فاحذر هذا أيها المرشح!

احذر الخشية التي تمتدُّ، كالأجنحة السوداء والصامتة لخفاش منتصف الليل، بين ضوء القمر الذي في قلبك وبين الهدف الكبير الذي ما زالت تظلِّله المسافة.

فالخوف، أيها المريد، يقتل الإرادة ويشلُّ كل فعل. والمسافر سيتعثر إن فقد فضيلة شيلا، والحصى الكارمية ستدمي قدميه على الدرب الوعر.

لتكن خطوتك واثقة أيها المرشح. ولتبلِّل روحك في قلب لباب كشانتي؛ لأنك ها أنت تقترب من البوابة التي تحمل هذا الإسم، بوابة الصبر والشجاعة.

فلا تغلق عينيك، ولا تُضِع الدورجي[105] من ناظرك؛ فسهام مارا تصيب دوماً الإنسان الذي لم يصل إلى فيراجا[106].

واحذر من أن ترتجف. فمفتاح كسانتي يصدأ تحت نَفَسِ الخوف؛ والمفتاح الصدىء لا يفتح البوابة.

ومع استمرارك في التقدُّم، تلتقي قدماك المزيد من الحفر الموحلة. الدرب الذي تسير فيه ينيره نور الجرأة المشتعلة في القلب. وبمقدار ما نجرؤ بمقدار ما ننال. وبمقدار ما نخشى بمقدار ما يخفت النور، الذي وحده بوسعه الدلالة. وكما النور المتأخر حين يختفي في قمة الجبل، يسود ظلام دامس؛ كذلك حين ينطفىء نور القلب، يهبط ظلٌّ عميق ومخيف من قلبك على الدرب، ويجمِّد الخوف قدميك في مكانهما.

---

[105] – الدورجي هو الفاجرا في السنسكريتية؛ إنها الأداة التي يمتلكها بعض الآلهة (الدراغشيد التيبتية، أو الديفا التي تحمي البشر). ولها ينسبون الميزة الغامضة التي تسمح بإبعاد التأثيرات السيئة وبتنقية الهواء كالأوزون بالنسبة للكيمياء. وهي كذلك مودرا، التي هي حركة أو وضعية تستعمل في التأمل. أي باختصار، وسواء كانت وضعية أو طلسم، هي رمز يعطي الطاقة للسيطرة على التأثيرات السلبية غير المرئية. ولكن كما أن البهون أو الدوجباس تملكت هذا الرمز وأصبحت تستعمله في سحرها الأسود، فإن هذا الرمز هو، بالنسبة للقبعات الصفر أو الجيلوباس، رمز للسلطة، كالصليب بالنسبة للمسيحيين، وهكذا يصبح دلالة شؤم لا مثيل له تخشاه الدجوباس، كالمثلث المقلوب الذي هو رمز السحر.

[106] – الفيراجا هو الشعور باللامبالاة المطلقة تجاه العالم الملموس، سواء فيما يتعلق بالسعادة أو الألم. كلمة "قرف" لا تعطيها حقها وإن كانت تقاربها.

فاحذر أيها المريد، من هذا الظلِّ البليد. لأنه ليس بوسع أي شعاع من الروح إزالة ظلمة الروح السُّفلية هذه، ما لم تبعد عنها كلَّ أنانيَّة. ما لم يقل المسافر: "**إني تخليت عن هذا الشكل العابر، ودمَّرت من هو السبب. ولم يعد بوسع آثار الظلال المنعكسة الوجود**". عندها تقع المعركة العليا الكبيرة، تلك التي بين الذات العليا والذات السفلى. انظر، لقد انغمس حقل المعركة نفسه في الحرب الكبيرة ولم يعد.

لكنك، بمجرد عبورك بوابة الكشانتي، تكون قد خطوت خطوتك الثالثة، وأصبحت سيِّد جسدك. فاستعد الآن للبوابة الرابعة، بوابة الإغواءات الآسرة لإنسان الباطن.

حيث قبل أن يكون بوسعك مقاربة الهدف، وقبل أن تمدَّ يدك لترفع مزلاج البوابة الرابعة، عليك تملُّك كل تحولاتك الذهنية الداخلية، وقتل جيش تلك الأفكار–المثيرة التي تتسلَّل، بدهاء ومكر، غير ملحوظة في قلب محراب الروح المشعَّة.

فإن لم تكن تريد أن تقتلك، عليك أن تجعل خلائقك غير ضارة، تلك الخلائق التي هي من بنات أفكارك، غير المرئية وغير الملموسة، التي تدور زوابع جحافلها حول الجنس البشري، تلك التي هي وريثة الإنسان وبقاياه الأرضيَّة. عليك أن تفهم خواء ما قد يبدو لك مليئاً، وامتلاء ما قد يبدو لك خاوياً. فانظر جيداً في أعماق بئر قلبك يا أيها المريد وأجب: هل تعرَّفت إلى قدرات الذات، يا من يلمح الظلال الخارجية؟

لأنك ستضيع ما لم تكن تعرفها.

حيث، على الدرب الرابع، ستحرك أبسط نسمة من الشغف أو الشهوة، النور الهادئ المنعكس على جدران الروح البيضاء والنقية. فأبسط موجة

طموح أو ندم للهبات الوهمية للمايا، المتماوجة على طول الأنتاهكارانا، – ذلك الدرب الذي يصل نفسك بذاتك، درب الحواس الكبيرة، تلك القاسية والمثيرة التي من الأهامكارا[107] –. فكل فكرة، حتى وإن كانت سريعة كالبرق، ستجعلك تخسر جوائزك الثلاث، التي نلتها بجهودك.

لأنه عليك أن تفهم أن الخالد لا يعرف التغيير.

"**دع التعاسات الثماني إلى الأبد. وإلا لن يكون بوسعك حتماً ولوج الحكمة، ولا حتى تحرير ذاتك**"، هذا ما قاله السيد، تاتهاغاتا الكامل "**الذي سار على خطى من سبقه**"[108].

صارمة ومتطلبة فضيلة فيراجا. فإن شئت أن تسيطر على طريقك، عليك الحفاظ على نفسك وعلى أحاسيسك أطهر مما هي عليه قبل كلِّ فعل مذيب.

عليك أن تتشبَّع من طهارة الألايا. وأن تصبح واحداً مع روح–فكرة الطبيعة. فأنت حين تتحد معها لا تقهر؛ ولكن حين تنفصل عنها تصبح ميدان سامفريتي[109]، الذي هو أصل كل أوهام هذا العالم.

---

[107] – الأهامكارا هو "الأنا" أو ذلك الشعور بالشخصية: "**حالة أن تكون ذاتك**".

[108] – "**ذلك الذي سار على درب من سبقه**"، أو "**أولئك الذين أتوا قبله**"؛ هذا هو المعنى الحقيقي لكلمة تاتهاغاتا.

[109] – السامفريتي هي، من بين الحقيقتين، تلك التي تبين الطبيعة الوهمية أو الفارغة للأشياء. هي، في هذه الحال، الحقيقة النسبية. مدرسة ماهايانا تعلِّم الفرق بين هاتين الحقيقتين: البارامارتهاساتيا والسامفيتيساتيا (ساتيا هي الحقيقة). وهذه نقطة خلاف بين أتباع اليادهاميكاس وأتباع اليوغاشارياس حيث يؤكد الأولون بينما ينفي الثانون أن كلَّ شيء إنما يوجد لسبب سابق أو من خلال التتابع. والمادهاميكاس هم كبار العدميين والناقصين، والذين بالنسبة لهم كل شيء هو كاريكالبيتا، التي هي وهم وخطأ في عالم

لأن كل شيء زائل في الإنسان ما عدا اللباب الطاهر للألايا. والإنسان هو شعاعها البلوري: سهم من نورها الداخلي الطاهر، وشكل من الصلصال المادي للوجه الأسفل. وهذا الشعاع هو الذي يوجِّه حياتك وذاتك الحقيقية، هو الساهر والمفكر الصامت، وضحية ذاتك السفلية. حيث لا يمكن لروحك أن يجرحها إلا جسدك الجاهل؛ فوجِّه الاثنان وتحكَّم بهما، عندئذ سيكون بوسعك أن تعبر بسلام وأمان البوابة القادمة: بوابة الميزان.

وتمتع بالشجاعة يا أيها المسافر الجسور، اذهب إلى الضفة الأخرى. ولا تستمع لهمسات جحافل مارا. أبعد الغاوين، هذه الأرواح الشريرة، تلك اللهامايان[110] الحسودة للمدى اللامتناهي.

واصمد! فأنت تقترب الآن من بوابة الوسط، بوابة الألم، ذات العشرة آلاف فخٍّ.

وإن شئت تجاوز العتبة كن متملِّكاً لأفكارك، يا أيها المحارب من أجل الكمال.

كن مالكاً لروحك، يا أيها الباحث عن الحقائق الأزلية، إن أردت الوصول إلى الهدف.

ركِّز أنظار روحك على النور الوحيد الطاهر، ذلك الذي لا يتأثر بشيء، واستعمل المفتاح الذهبي.

الفكر وفي العالم الذاتي كما في العالم الموضوعي. واليوغاشارياس هم الروحانيون الكبار. ما يجعل من السامفريتي، كحقيقة نسبية، منبعاً لكل الأوهام.

[110] – اللهامايان هي الأرواح الشريرة المعادية: خصم الإنسان.

لقد حقَّقت المهمة الصعبة، وشارف عناؤك على النهاية، وتجاوزت تقريباً العمق السحيق الذي كان فاغراً لابتلاعك.

لقد عبرت الآن الخندق المحيط ببوابة الانفعالات الإنسانية. وها أنت قد هزمت مارا وفيلقها الغاضب.

لقد طهرت قلبك من الوصمة التي أدمته الرغبة المدنسة. ولكن، يا أيها المحارب الماجد، لم تنتهِ مهمتك بعد. لأنه ما زال عليك أن تبني عالياً، أيها اللانو، الجدار الذي تختبىء خلفه الجزيرة المقدسة[111]، ذلك السدُّ الذي سيحمي روحك من الغرور والرضا، ومن فكرة العمل الكبير المنجز.

فالشعور بالفخر سيلحق الأذى بما بنيت. نعم، ابنِهِ قوياً، خوفاً من أن ينال الزخم الغاضب للأمواج المنقضَّة، الأمواج الصاعدة من المحيط الكبير للمايا الكونية والضاربة على شطآنها، فتبتلع المسافر والجزيرة. نعم، وحتى بعيد تحقيق الانتصار.

فجزيرتك هي الظبي، وأفكارك هي الكلاب التي تتبعه وتلاحقه خلال جريانه في اتجاه نهر الحياة. لأنه بائس ذلك الجَمَلُ الذي تلحقه تلك الشياطين النابحة قبل وصوله إلى وادي الأمان الذي يدعى الجنانا مارجا، والذي هو درب المعرفة الصافية.

لأنه قبل أن تستقر في الجنانا مارجا[112] وتدَّعي تملكها، يجب أن تصبح روحك كثمرة المنغا الناضجة، حلوة ومعطاءة، كلُبِّها الذهبي، فيما يتعلق بآلام

---

[111] – الذات العليا أو المفكرة.

[112] – حرفياً تعني الجنانا مارجا "درب الجنانا"، أو درب المعرفة الصافية للبارامارتا، أو (بالسنسكريتية) سفاسامفيدانا أي "**التفكر البديهي الذي تقوم به الذات التي تحلل نفسها**".

الآخرين، وأقسى من بذرتها فيما يتعلق بشجونك الخاصة، يا غازي الخير والشر!

فصلِّب نفسك في وجه أحابيل الذات، واستحق لقب النفس–الجوهرة[113].

لأنه، مثلما ليس بوسع الجوهرة المغروسة بعمق في قلب الأرض النابض عكس الأنوار الأرضية، كذلك ليس بوسع عقلك ونفسك، الغارقة في قلب الجنانا مارجا، عكس المملكة الوهمية لمايا.

وحين تصل إلى هذه الحال، ستنفتح البوابات التي عبرتها على الدرب عريضةً أمامك ولن يكون بوسع أعتى قوى الطبيعة إيقاف مسيرتك. ستصبح سيِّد الدرب السباعي: ولكن، أيها المريد، لن يكون ذلك قبل خوض الاختبارات التي تتجاوز الكلمات.

لأنه حتى الآن، ما زالت أمامك تلك المهمة الأكثر صعوبة. حيث على نفسك أن تشعر بكلِّ فكرة، ورغم هذا عليك عزل كل الأفكار التي في نفسك.

عليك أن تصل بنفسك إلى تلك الحال من الثبات حيث لا يكون بوسع أي نسيم، مهما بلغ من القوة، إدخال أية فكرة أرضية. وهكذا، وقد أصبحت طاهراً، يصبح المحراب خالياً من أيِّ فعل، أو نغم أو نور أرضيين؛ وكالفراشة، التي أمسكها الجليد، تقع بلا حياة عند العتبة، كذلك يجب أن تقع كل الأفكار الأرضية ميتة أمام المعبد.

انظر، لقد كتب:

"**قبل أن يصبح بوسع النار الذهبية الاشتعال كنور هادئة، يجب حماية الفانوس ووضعه في مكان آمن حيث لا يتعرض لأي ريح**" (الباغافاد –

[113] – العودة إلى التعليق الثامن. "النفس–الجوهرة" أو فاجرادهارا تسود على الدهياني–بوذا.

غيتا). لأنه إن تعرضت الشعلة للنسيم المتحرك، فإنها ستترنَّح وستلقي ثمارها على المحراب الأبيض للروح، ظلالاً خادعة مظلمة ومتغيرة على الدوام.

عندها، يا أيها الساعي وراء الحقيقة، ستصبح روحك كالفيل المجنون الهائج في الغابة، والذي يحسب أشجار الغابة أعداءً أحياء، فيهلك وهو يحاول قتل الظلال المتحركة الراقصة على جدار الصخور المعرضة للهيب الشمس.

احرص من أجل ذاتك ألا تخطئ نفسك الخطوة على أرضية معرفة الديفا.

وحينها، من أجل نسيان الذات، انتبه ألا تضيِّع روحك سلطتها على عقلك المرتجف، فتفقد بذلك الثمرة الشرعية لما حققته من منجزات.

وانتبه من التغيير، لأن التغيير هو عدوك الأكبر، ولأن هذا التغيير سيهاجمك ويلقيك خارج الدرب الذي تطرقه إلى قلب مستنقعات الشكِّ اللزجة.

فاستعد وكن متنبهاً في الوقت المناسب. وإن حاولت وفشلت فلا تيأس، أيها المقاتل الذي لا يلين، ولا تفقد شجاعتك؛ بل استمر في القتال، وأعد الكرة في الهجوم، دائماً وأبداً.

لأنه قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، سيعاود المحارب الباسل، الفاقد لدمه الغالي من جراحه الواسعة والمنفتحة، مهاجمة العدو، فيطرده من معقله ويهزمه. افعلوا مثله يا من تفشلون وتتألمون: اطردوا من قلعة روحكم كل أولئك الأعداء – الطموح والغضب والكراهية وحتى مجرد ظلٍّ لرغبة – ولو فشلتم.

وتذكَّر، يا من يناضل من أجل تحرير[114] الإنسان، أنَّ كل فشل يعتبر نجاحاً بحدِّ ذاته، وأن أيَّة محاولة مخلصة سيأتي وقت فيه تكافأ، لأن البذور المقدسة، التي تنمو وتتطور بالسرِّ في قلب روح المريد، سترسِّخ جذورها مع كلِّ تجربة جديدة، فهي تنحني مثل القصب لكنها لا تنكسر أبداً ولا تضيع، إنما تزهر حين يحين وقتها[115]...

ومع ذلك، إن أتيت مهيئاً فلا تقلق البتة...

فالطريق واضح الآن بالنسبة لك، مستقيم عبر بوابة فيريا، خامس البوابات السبعة.

---

[114] – التلميح هنا هو إلى اعتقاد سائد في الشرق (وله ما يقابله في الغرب) ويقول بأنَّ أيَّ بوذا جديد (أو أي قديس جديد) هو جندي إضافي في جيش أولئك الذين يعملون لتحرير أو لخلاص الجنس البشري. في البلدان التي يسود فيها معتقد بوذية الشمال تدرس عقيدة النيرماناكايا، وهم البودهيساتافا الذين تنازلوا عن النيرڤانا الذي استحقوه بجدارة، أو لنقل عن "لباس الدهارماكايا" (الذي يقطعهم في كل حال عن عالم البشر)، من أجل أن يكون بوسعهم البقاء مستورين في خدمة الإنسانية وقيادتها في النهاية إلى البارانيانا. في هذه البلدان يدعى كل بودهيساتفا، أو مريد مسارر، "**مخلِّص الجنس البشري**". ما يعني أن تأكيد شالجينتفايت (في كتابه *البونية في التيبت*، الصفحة 26) بأن البرولبايكو أو النيرماناكايا هي "**الجسد الذي يتجسد فيه البودات أو البودهيساتفاس على الأرض من أجل تعليم البشر**" غير دقيق وبلا معنى، ولا يشرح شيئاً.

[115] – الإشارة هنا هي إلى المشاعر والخطايا البشرية التي يجري استئصالها خلال اختبارات مرحلة التدريب، والتي تستخدم كحقل مخصَّب مهيأ لنمو "البذور المقدسة" أو لنقل الفضائل المتعالية. فالفضائل والمواهب أو الهبات الفطرية تعتبر وكأنها جاءت في ولادة سابقة، لأن النبوغ هو حتماً هبة تمَّ اكتسابها أو أتت من وجود آخر.

أنت الآن على الدرب الذي سيقودك إلى ملاذ الدهيانا، التي هي البوابة السادسة، بوابة البودهي.

وبوابة الدهيانا تشبه وعاءً من المرمر الأبيض والشفاف، تشتعل في داخله نار ذهبيةٌ لا تتغير، شعلة البراجنا التي تشعُّ من الآتمان. وأنت هو ذلك الوعاء.

أنت الآن منقطع عن كل ما هو حسِّي، فقد سرت على "درب المرئي"، وعلى "درب المسموع"، وها أنت واقف في قلب نور المعرفة. لقد بلغت الآن حالة التيتيكشا[116].

أنت الآن في مأمنٍ أيها النالجور.

لذلك إعلم، يا قاهر الخطايا، أنَّه بمجرد أن يعبر سوان[117] الدرب السابع، فإن الطبيعة، وكأن خشيةً مقدسةً قد تملكتها، سترتعد فرحاً وستشعر بالاستسلام. ها هي ذا النجمة الفضية تنقل من خلال تألقها النبأ للأزهار الليلية، وها هو جدول النهر الصغير يهمس بالقصة للحصى، كما تهدرها

---

[116] – التيتيكشا هي حالة الراجا يوغا، حالة اللامبالاة العليا، وإن اقتضت الضرورة حالة الاستسلام لما يدعوه الجميع "لذة الألم"، من دون أن تشعر مع ذلك بأي فرح ولا بأي عذاب ناجم عن هذا الاستسلام. أي، في اختصار، تلك الحالة التي يصبح المرء فيها، سواء فيزيائياً أو ذهنياً أو أخلاقياً، غير مبالٍ وغير شاعر باللذة وبالألم.

[117] – كلمة سوان هي كلمة سينغالية، وهي المكافىء السنسكريتي لكلمة ستروتابانا التي تستعمل للدلالة على من يستعمل الدرب الأول للدهيانا.

الأمواج العاتية للمرجان بلا توقف. وفي حين تغنِّيها نسائم العطر للوديان، تهمس أشجار الصنوبر الجليلة بغموض: "لقد قام معلم، إنه معلم اليوم."[118]

هو يقف الآن في الغرب، كدعامة بيضاء تغلِّفها الشمس المنبثقة من الفكر الأزلي بأمواجها الأكثر جلالاً. وفي الفضاء الذي لا حدود له، يمتد عقلها كمحيط هادئ بلا حدود. فيمسك الحياة والموت بيده القوية.

الحق يقال، إنه قوي. هذه القوة الحيَّة التي أطلقت في داخله – تلك القدرة التي هي ذاته – حيث بوسعها أن ترفع هيكل الوهم إلى ما يتجاوز الآلهة، أعلى من البراهما الكبير ومن إيندرا. لأن من المؤكد أنه سيحصل الآن على مكافأته الكبرى! أتراه سيستخدم الهبات التي وهبته إياها من أجل سلامته وسعادته، فقد حصل على سعادته واستحق مجده، ذلك الذي تغلَّب على الوهم الكبير؟

لكن الأمر ليس كذلك، يا أيها المريد المرشح لتملك العلم السرِّي للطبيعة! لأن من أراد السير على خطى القديس تاتهاغاتا، لا يحق له الاحتفاظ بتلك القدرات لنفسه.

أتراك تريد إيقاف المياه النابعة من على السوميرو[119]؟ أتراك تريد تحويل التيار لصالحك، أو إعادته إلى ينبوعه الأول على امتداد ذرى العصور؟

---

[118] – يحمل هذا اليوم المعنى الكامل للمانفاتارا، بمعنى الفترة التي لا يمكن حصرها من حيث المدة.

[119] – جبل ميرو هو جبل الآلهة المقدس.

إن كنت تريد لهذا التيار المعرفي الذي اكتسبته بشقِّ الأنفس، لتلك الحكمة التي ولدت من السماء، أن تبقى ماءً عذباً ومنعشاً، عليك ألا تدعه يتحول إلى مستنقع راكد.

وأعلم أنك إن أردت أن تكون تابعاً للأميتابها، ذلك العصر الذي بلا حدود، فإنه من واجبك، كهاتين البودهيساتفا[120]، نشر النور المكتسب على امتداد العوالم الثلاثة[121].

تعلَّم أنَّ تيار المعرفة التي كسبتها، والتي تفوق الطاقة البشرية وحكمة ديفا، يجب أن يتدفق من قبلك، في قناة الألايا، في قلب مجرىً آخر.

تعلَّم أيها الناجلور، يا من اتبع الدرب السرِّي، أنَّ على هذه المياه الصافية والعذبة تحلية مرارة أمواج المحيط، ذلك البحر الجبار الذي صنعته دموع البشر.

واحسرتاه! لأنك حين تصبح شبيهاً بتلك النجمة المتوقفة في أعالي السماء، فإنه يجب على هذه الكرة اللامعة أن تشع لأجل الجميع من أعماق الفضاء، ما عدا نفسها، وأن تعطي النور لكل فرد، وألا تأخذ شيئاً من أحد.

---

[120] – في رمزية بوذية الشمال تبدو الأميتابها، التي تمثل "المدى اللامتناهي" (البارابراهمان)، وكأنها محاطة بجنتها من قبل البودهيساتفا الاثنتين – كوان شيه ين وتا شيه شي – التي تشع دائماً بنورها على العوالم الثلاث (راجع الملاحظة التي تليها) التي عاشوا فيها، بمن فيها عالمنا، كي يساعدوا، عن طريق هذا النور (الذي هو المعرفة)، في تعليم اليوغيين المدعوين بدورهم لتخليص البشر. في هذا الرمز تعد مكانتهم عالية جداً في الأميتابها بسبب الأفعال الخيرة التي قاموا بها، كيوغيين، عندما كانوا على الأرض.

[121] – العوالم الثلاثة هي مستويات الكائن الثلاثة: الأرضي والنجمي والروحي.

واحسرتاه! لأنك وقد أصبحت شبيهاً بالثلج الناصع للوديان الجبلية – بارداً ولا تشعر به، ولكن في الوقت نفسه أصبحت حاراً وحامياً للبذار النائم بعمق في قلبه – لأنَّ على هذا الثلج أن يتلقى الآن عضة الصقيع وهبات رياح الشمال الشديدة، فيحمي، من أسنانها الحادة والقاسية، الأرض الحافظة للحصاد الموعود، ذلك الحصاد الذي سيطعم الجياع.

هو محكوم بإرادته للعيش من خلال الكالبا[122]، بعيداً عن الأنظار وعن منِّية البشر، محكوم كحجر من بين الأحجار التي لا تحصى لـ"الجدار الحامي"[123]، هذا هو مصيرك إن عبرت البوابة السابعة. لقد شيَّدَته أيدي الكثير من معلمي الحنو، شيَّدَته عذاباتهم، وعززته دماؤهم. وهو يأوي الجنس البشري منذ أن أصبح الإنسان إنساناً، فيحميه من العذابات ومن الآلام المحتملة الأكثر شدَّةً. ورغم هذا لا يلحظه الإنسان؛ ولا يدركه عموماً، كما لا يعبأ لكلمة الحكمة... حيث لا يعرفها.

لكنك مع ذلك قد سمعتها، وامتلكت كامل معرفتها، يا أيتها الروح المتقدة والبريئة... يا أيتها التي عليها أن تختار... استمعي أيضاً مرةً أخرى...

على درب السوان، أنت متأكد من طريقك، أيها السروتابانا[124]. في الحقيقة، على هذا المارجا[125]، لا يواجه الحاج المجرِّب سوى الظلمات. حيث

---

[122] – دورة الأزمان.

[123] – فيما يتعلق بالجدار الحامي أو "جدار الحماية": يدرَّس أنَّ الجهود المتراكمة لليوغيين والقديسين والأتباع، وخاصة منهم النيرمانكانايا، قد شيَّدت جداراً حامياً خفياً لحماية الجنس البشري المعذب من كوارث أكثر رهبةً.

[124] – كلمتي سوان وسروتابانا لهما المعنى نفسه. (انظر الملاحظة 7).

[125] – مارجا تعني الدرب.

تدمى الأيدي وقد مزَّقتها الأشواك، حيث تجرح الأقدام من قسوة الصوَّان وحدَّته، وحيث تنشر مارا أقوى أسلحتها. هناك، مباشرة بعد ذلك، توجد مكافأة كبرى.

بهدوء وثبات، يسير الحاج صاعداً التيار المؤدي إلى النيرڤانا. هو يعلم أنَّه كلما أدمت قدماه كلما ازدادت ذاته نصوعاً. ويعلم أنَّه بعيد سبع ولادات قصيرة وعابرة لن يبقى هناك نيرڤانا...

ذلك هو درب الدهيانا، منارة اليوغي، والهدف النهائي الذي يطمح إليه السروتابانا.

لكن الأمر يختلف بالنسبة للحاج الذي يعبر طريق الأراهاتا[126] ويقطف ثمره.

هنا، تتحطم الكليشا[127] للأبد، وتنتزع جذور التانها[128]. لكن مهلاً أيها المريد... هي كلمة أخرى: هل بوسعك القضاء على الحنو؟ لأن الحنو ليس سمة، بل هو قانون القوانين. الوئام الخالد، ذات الألايا، الجوهر الكوني الذي بلا حدود، وضوء العدالة غير القابل للتغيير، والترتيب المتناغم لكل الأشياء في قلب الكل، إنه قانون الحب الخالد. ذلك الذي بمقدار ما اتحدت معه،

---

[126] – (بالي: أراهاتاماغا) وتربط في السنسكريتية بآرهات.

[127] – الكليشا هي حب الملذات والمتع الأرضية (الجيدة والسيئة).

[128] – التانها هي إرادة الحياة ومسبب كل الولادات الجديدة.

بمقدار ما ذاب كيانك في كيانه، بمقدار ما اتحدت روحك مع الكائن، بمقدار ما أصبحت حنواً مطلقاً[129].

هذا هو درب آريا، درب بودايات الكمال.

علاوة على ذلك، ما الذي تعنيه المخطوطات المقدسة التي تجعلك تردد:

"**أوم! إني أعتقد أنَّ كل الآرهات لن تحصل على الثمار الحلوة لدرب النيرڤانا**"

"**أوم! إني أعتقد أنَّ كل البودايات[130] لن تلج النيرڤانا–دهارما.**"

في الحقيقة، أنت لم تعد سروتابانا على درب الآريا، إنما أصبحت بودهيساتفا[131]. صحيح أنك صعدت المجرى. صحيح أنك أصبحت جديراً بلباس الدهارماكايا؛ ولكن السامبوكاكايا أكبر من النيرڤاني – وأكبر منه هو النيرماناكايا، الذي هو بوذا الحنو[132].

---

[129] – لا يجب النظر إلى الحنو من منظور الديانات التوحيدية "بمعنى الله، والحبِّ الإلهي"، فهو يمثل قانوناً مجرداً وغير شخصي، وطبيعته (التي هي التناغم الكامل) تصبح حائرة ومرتبكة بسبب الشقاق والمعاناة والخطيئة.

[130] – انظر النص (التيبتي) لتهيجبا تشينبويدو (سوترا الماهانايا) الذي هو عبارة عن "ابتهال لبودايات الملة" (الجزء الأول، IV) [Schlagintweit, Le Bouddhisme au Tibet, pp. 77-80]. لأنه وفق المصطلحات المستعملة من قبل بوذيي الشمال، تدعى كل الآرهات الكبيرة، من أتباع وقديسين، بالبودها.

[131] – يعتبر البودهيستفا أقل مرتبة من "البوذا الكامل". وفق اللغة الظاهرية غالباً ما يتم الخلط بين هذين التعبيرين، ولكن الحسَّ الشعبي الفطري والصحيح جعل البودهيستفا أعلى مرتبة من البوذا من أجل تبجيله وذلك بسبب التضحية التي فرضها على نفسه.

[132] – التبجيل نفسه يطلق اسم البوذيستفا على "بوذا الحنو" الذين وصلوا إلى مرتبة الآرهات (أي عبروا بشكل كامل الدرب الرابع أو السابع.) ولكنهم رفضوا الدخول إلى حالة

النيرڤانا كي "**يلبسوا ثوب الدهارماكايا والوصول إلى الضفة الأخرى**"، لأنه في ذلك الحين لن يعود بمقدورهم مساعدة البشر، حتى ضمن الحدود الضيقة التي تسمح بها الكارما. وهم يفضلون البقاء مستورين (كأرواح، إن صحَّ القول) في العالم وأن يساهموا في خلاص البشر، من خلال دفعهم إلى اتباع القانون الصحيح، بمعنى إرشادهم على اتباع طريق الاستقامة. طقوس العبادة حولت كل تلك الشخصيات الكبيرة إلى ما يشبه القديسين، وحتى الصلوات التي تقدم لهم تعتبر جزءاً من الطابع الظاهري لبوذية الشمال – تماماً كما هي الحال بالنسبة لأتباع الكنائس الأورثوذكسية أو الكاثوليكية الذين يمجدون قديسيهم وأولياءهم. لكن في المقابل، نجد أن التعاليم السرَّانية لا تشجع البتة مثل هذه الممارسات. حيث يوجد فارق كبير بين المقاربتين العقائديتين. فالعلماني، الذي يتبع المنظومة الظاهرية، لا يملك أية فكرة عما تعنيه كلمة نيرماناكايا. من هذا المنطلق نستطيع أن نفسر التخبطات والتعريفات غير الدقيقة للمستشرقين. مثلاً، يعتقد شلاجبينتفايت أن جسم النيرماناكايا يعني الشكل الفيزيائي الذي يأخذه البوذات حين يعاودون التجسد على هذه الأرض – وهذا هو الأمر الأقل سمواً من "مشاكلهم الأرضية" (راجع *البوذية في التيبت*، ص 261). ثم يتابع فيعطي نظرة خاطئة بالكامل لهذا الموضوع. لذلك إليكم التفسير الصحيح: تدعى الأشكال أو الأجساد الثلاث للبوذا كما يلي:

1. النيوماناكايا
2. السامبهوغاكايا
3. الدهارماكايا

حيث الأول هو الشكل الأثيري الذي نأخذه، حين نغادر جسدنا الفيزيائي، إن ظهرنا في جسدنا النجمي – شريطة أن نملك كل معرفة مريده. فالبودهيساتفا ينمي هذا الشكل في داخله مترافقاً مع تقدمه على الدرب. لذلك عندما يصل إلى هدفه ويرفض ثمرته المستحقة، فإنه يبقى على الأرض كمريد؛ وحين يموت، عوض الذهاب إلى النيرڤانا تراه يبقى في ذلك الجسد المجيد الذي فصَّله بنفسه، ولاستخداماته، كوجود غير مرئي للإنسانية غير العارفة، للسهر عليها وحمايتها. أما السامبهوغاكايا فهو الجسد نفسه للبوذا، مضافاً إليه ذلك

اخفض رأسك الآن واصغ بانتباه يا أيها البودهيساتفا، لأن الحنو يتكلم ويقول: "**هل يمكن أن يكون نعيم، حين تعاني جميع الكائنات؟ هل سيطالك الخلاص وأنت تستمع إلى أنين العالم؟**"

هكذا لقد سمعت ما قيل.

لن تصل إلى المستوى السابع، ولن تعبر عتبة المعرفة النهائية، إلا لتلتقي بالألم: إن شئت أن تصبح تاتهاغاتا، سر على درب من سبقك، وبقي بلا أنانية حتى نهاية ما لانهاية له.

مستنير أنت الآن. فاختر طريقك.

انظر إلى الضوء الناعم الذي يفيض على سماء الشرق. كتعبير عن الثناء، لتتحد السماء والأرض؛ ومن القوى الرباعية التي تجلت ترتفع أنشودة حب، من لهيب النار ومن الماء السائل، من عبق الأرض ومن الريح العاتية.

الإشعاع الإضافي الذي تقدمه "كمالات" ثلاثة، أحدها الابتعاد الكامل عن كل المشاغل الأرضية.

أما جسم الدهارماكايا فهو جسم البوذا المحقق: والذي هو في الحقيقة ليس جسداً على الإطلاق إنما نفحة مثالية؛ فهو الوعي المشتمل في الوعي أو الروح الكونية التي لا صفات لها. لأنه بمجرد أن يصل إلى مستوى الدهارماكايا، فإن المريد أو البوذا يترك وراءه كل علاقة ممكنة على هذه الأرض، أو أية فكرة تتعلق بها. لهذا يقال في اللغة الصوفية إنَّ المريد الذي حاز على الحق بالنيرڤانا "يتخلى عن جسد الدهارماكايا" كي يتمكن من مساعدة البشرية؛ ولا يحتفظ من السامبهوغاكايا سوى عرفانها الكبير والكامل، ويبقى في جسد نيرماناكايا. تعلم المدرسة الباطنية أنَّ الغواتاما البوذا (ومعه العديد من آرهاته) هو مثل نارماناكايا الذي، وسبب تجرده السامي وتضحيته العظيمة من أجل الإنسانية، لا يوجد مثيل له.

واستمع!... من قلب الأعماق التي لا يمكن سبرها إلى دوامة ذلك الضوء الذهبي حيث يغتسل المنتصر، لأن الصوت الذي بلا كلمات للطبيعة كلِّها يرتفع بألف لهجة ليعلن:

ألا إفرحوا يا رجال الميالبا[133].

لقد عاد حاج من الضفة الأخرى.

[133] – الميالبا هي أرضنا، وهي تدعى بـ"الجحيم" وفق المدرسة الباطنية (أو السرَّانية)، لأنها الجحيم الأكبر. لهذا لا تعترف العقيدة السرَّانية بأيِّ جحيم، أو مكان للعقاب، ما لم يكن كوكباً، أو أرضاً، يسكنه بشر. أما أفيشي فهي دولة وليست مكان.

الفهرس

مقدمة 7

الفصل الأول 13

الفصل الثاني 33

الفصل الثالث 55

صدر عن دار معابر للنشر

قاموس اللاعنف، جان ماري مولِّر، تقديم: د. وليد صليبي، ترجمة: محمد علي عبد الجليل (بالتعاون مع الهيئة اللبنانية للحقوق المدنية، بيروت) 2007.

التأمل، جِدُّو كريشنامورتي، ترجمة وتقديم: ديمتري أڤييرينوس، 2008.

على خطى غاندي، كاثرين إنغرام، ترجمة: أديب خوري، تدقيق: ديمتري أڤييرينوس، 2008.

المحبة في العمل، تيك نات هانه، ترجمة: غياث جازي، تدقيق: أكرم أنطاكي، 2008.

كتابات وأقوال للمهاتما م. ك. غاندي، ترجمة: أكرم أنطاكي، مراجعة: هڤال يوسف، 2009.

فلسفة اللاعنف، ديڤيد مكرينولدز، ترجمة: ديمتري أڤييرينوس، 2009.

اللاعنف في التربية، جان ماري مولِّر، ترجمة: محمد علي عبد الجليل، 2009.

ليف تولستوي: مختارات من كتاباته الفكرية والفلسفية، ترجمة: هڤال يوسف، 2009.

سيمون ڤايل: مختارات، ترجمة: محمد علي عبد الجليل، 2009.

البحث عن مستقبل لاعنفي، مايكل ن. ناغلر، ترجمة: غياث جازي، 2009.

أنا وأنت، مارتن بوبر، ترجمة: أكرم أنطاكي، 2010.

التجذُّر، سيمون ڤايل، ترجمة: محمد علي عبد الجليل، 2010.

ملكوت الله في داخلكم، ليف تولستوي، ترجمة: هڤال يوسف، 2010.

شبكة الفكر، جِدُّو كريشنامورتي، ترجمة: يارا البرازي، 2011.